رواية

شمس غاربة

أوسامو دازاي

ترجمة

ميسرة عفيفي

شمس غاربة

رواية

شمس غاربة

أوسامو دازاي

ترجمة
ميسرة عفيفي

دار جامعة حمد بن خليفة للنشر
HAMAD BIN KHALIFA UNIVERSITY PRESS

دار جامعة حمد بن خليفة للنشر
صندوق بريد 5825
الدوحة، دولة قطر

www.hbkupress.com

Original Title: *The Setting Sun.*

طبعة دار جامعة حمد بن خليفة للنشر العربية الأولى عام 2020

الترقيم الدولي: 9789927141997

تمت الطباعة في الدوحة-قطر

مكتبة قطر الوطنية بيانات الفهرسة – أثناء – النشر (فان)

دازاي، أوسامو، 1909-1948، مؤلف.

[Setting sun]. Arabic

شمس غاربة : رواية / أوسامو دازاي ؛ ترجمة ميسرة عفيفي. - الطبعة العربية الأولى. - الدوحة، دولة قطر : دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، 2020.

صفحة ؛ سم

تدمك 978-992-714-199-7

ترجمة لكتاب: The setting sun وهو مترجم عن اليابانية Shayō

1. القصص اليابانية -- المترجمات إلى العربية. أ. عفيفي، ميسرة، مترجم. ب. العنوان.

PL825.A8 S42125 2020

895.63- dc23

202027967323

الفصل الأول

في الصباح، بعد أن شربت أمي ملعقة واحدة من الحساء في المطبخ صاحت بصوت خافت: «آه». وأطرقت أفكر، تُرى هل عثرتْ على شيء غريب داخل الحساء؟

- شعرة رأس؟
- كلا.

ثم وضعت أمي ملعقة ثانية من الحساء داخل فمها وكأن شيئًا لم يكن، وأشاحت بوجهها اللامبالي جانبًا، وأرسلت بصرها إلى زهور الكرز التي اكتمل تفتحها خارج نافذة المطبخ، ثم تناولت ملعقة أخرى، ووجهها كما هو ينظر إلى الجانب، ووضعت الحساء بين شفتيها الصغيرتين برشاقة.

ووصف الرشاقة في حالة أمي لا يحمل أي مبالغة، فهي تختلف تمامًا عن طريقة تناول الطعام التي تظهر على صفحات مجلات السيدات. في إحدى المرات، قال لي أخي الأصغر ناوجي أثناء شربه الخمر: «ليس نبيلًا من يحمل فقط ألقاب النبلاء. فثمة نبلاء عظماء يحملون نبلًا ربانيًّا، حتى وإن لم يكونوا نبلاء رسميين. وثمة نبلاء، مثلنا نحن، أقرب إلى الرعاع ناهيك عن النبلاء. إيواشيما مثلًا (ذكر ناوجي اسم عائلة صديقه في الدراسة المعروفة بلقب كونت) ألا يعطيك إحساسًا بالوضاعة أكثر من الشخص الذي يجذب الزبائن في مربع حي شينجوكو؟ منذ فترة وفي حفل زواج الأخ الأكبر لصديقي ياناي (ومرة أخرى ذكر أخي اسم صديق دراسة له، وهو الابن الثاني لعائلة معروفة بلقب ڤيكونت) ارتدى ذلك البهيمة بدلة التوكسيدو، ولا أدري لِمَ

وجب عليه أن يأتي مرتديًا التوكسيدو، لا علينا من ذلك، ولكنني عند إلقائه كلمته، كدتُ أتقيأ عندما استخدم ذلك الحيوان تلك الكلمة العجيبة التي تقول غوزاماسورو[1]. إن التصنع يُعدُّ تظاهرًا دنيئًا ليس له أية علاقة بالرقي. ثمة لافتة في حي هونغو كُتب عليها «نُزُلٌ راقٍ»، وفي الواقع أن أغلب ما يُطلق عليهم نبلاء يمكن أن نسمِّيهم «شحاذين راقين». لا يتظاهر النبلاء الحقيقيون بالنبل بتلك الطريقة الرديئة التي يفعلها إيواشيما. حتى عائلتنا نحن، ليس منها إلا أمي فقط على الأرجح. إنها من النوع الحقيقي للنبلاء، إنها تملك ما لا يمكننا بلوغه».

تختلف طريقة أمي في تناول الحساء عنا، فنحن نميل قليلًا فوق الطبق، ثم نحمل الملعقة من الجنب ونغرف، ثم نحمل الملعقة من الجنب إلى أفواهنا، ولكن أمي تضع أصابع يدها اليسرى على حافة المائدة قليلًا، دون أن تميل بنصف جسمها الأعلى، ووجهها مرفوع كما ينبغي، وتُميل الملعقةَ بالجنب دون أن تنظر إلى الطبق، وبعد أن تغرف غرفة هادئة سريعة تحمل الملعقة إلى فمها بزهو قليل، لو شئت قلت مثل اليمام، في زاوية قائمة وتضع الحساء من طرف الملعقة بين شفتيها لتشربه. ثم تنظر يمنة ويسرة وتتعامل بانتباه بالغ مع الملعقة وكأنها أجنحة طائر، لا تنسكب منها قطرة واحدة من الحساء، ودون أن تُصْدِر صوتًا من فمها مطلقًا. ربما لا تكون تلك الطريقة متوافقة تمامًا مع الطريقة الصحيحة لتناول الحساء، ولكنها تبدو في عيني لطيفة، وكأنها بالضبط هي الطريقة الحقيقية. وثمة حقيقة مهمة، وهي أن طريقة سكب السوائل هكذا في الفم يعطي لها مذاقًا أكثر لذة لدرجة عجيبة. ولأنني أنا أيضًا شحاذة راقية، مثل ناوجي تمامًا، فأنا لا أستطيع أن أستخدم

(1) الصيغة القديمة جدًا لفعل الكينونة، واستخدامها في هذا الموقف يدل على التنطع والتقعر/ المترجم.

الملعقة مثل أمي بتلك الخفة والتلقائية، ولذا أقلعت عن ذلك مرغمة، وأميل فوق الطبق وأتناول الحساء بالطريقة الصحيحة الكئيبة المعتادة.

لا يقتصر الأمر على الحساء، بل إن طريقة تناول أمي الطعام كله تخالف جدًّا الطريقة الصحيحة. فعندما يظهر اللحم تقطعه كله بالشوكة والسكين إلى قطع صغيرة ثم بعد ذلك تتخلى عن السكين، وتعيد إمساك الشوكة باليد اليمنى وتأكل تلك القطع بالشوكة فقط، قطعة بعد قطعة، ببطء وبطريقة تبدو شائقة. وكذلك الدجاج الذي يحتوي على العظام، ففي حين نعاني نحن من فصل اللحم عن العظام فوق الأطباق محاولين ألا يَصْدُرَ منا صوتٌ، تمسك أمي بأناملها طرف العظام بلا اهتمام بمن حولها وترفعها إلى فمها وتفصل اللحم عن العظام وهي تأكلها في آن واحد. عندما تأكل أمي بتلك الطريقة البدائية، لا يقتصر منظرها على أن تبدو لطيفة بل تبدو غريبة بدرجة ما، ولذا فهي بالتأكيد تختلف تمامًا عن الطريقة الصحيحة. ليس فقط في حالة الدجاج الذي يحتوي على العظام، ولكن ثمة أوقات تتناول أمي بأناملها أطباق المقبلات في الغداء مثل اللحم المقدد والمقانق.

وأحيانًا تقول أمي: «هل تعلمين لِمَ تكون كرة الأرز لذيذة؟ ذلك لأنها تُصنع من خلال قبض الإنسان عليها بيده».

كنت أحيانًا أعتقد أن الأكل باليد يجعل الأكل لذيذًا على الأرجح، ولكنني أصبر على عدم فعل ذلك لأنني أشعر أن الشحاذين الراقين مثلي إن هم حاولوا تقليد ذلك فعلًا، فسيصبح منظرهم شحاذين حقيقيين.

حتى أخي الأصغر ناوجي، يقول دائمًا: «أنا لا أستطيع أن أضاهي ماما أبدًا» وأنا أيضًا أعتقد من كل قلبي أنه من الصعب جدًّا أن أستطيع تقليد أمي، إلى درجة شعوري أحيانًا باليأس من ذلك. ذات مرة، وفي حديقة بيتنا في حي نيشيكاتا، وفي ليلة من بدايات الخريف ذات قمر جميل، كنتُ أنا

وأمي نجلس تحت العريشة على حافة البركة، نشاهد القمر، وكنا نضحك ونحن نتحاور عن اختلاف الاستعدادات بين زواج الثعالب وزواج الفئران، وقفت أمي فجأة ودخلت إلى عمق أشجار ليسبيديزا كثيفة مجاورة للعريشة، ثم أخرجت من بين الزهور البيضاء وجهها الأكثر بياضًا وتميزًا، وضحكت ضحكة خفيفة ثم قالت:

- كازوكو! خمِّني ماذا تفعل أمك الآن.

وعندما قلتُ لها: «تقطفين زهورًا» رفعت صوتها بضحكة خافتة ثم قالت:

- بل أتبول.

ولقد تعجبتُ بشدة من أنها لم تكن مقرفصة مطلقًا، ولكنها كانت لطيفة حتى النخاع إلى درجة لا يستطيع شخص مثلي أن يقلدها مطلقًا.

لقد خرج الحديث بعيدًا عن مساره من موقف الحساء هذا الصباح، ولكن منذ وقت قليل مضى كنتُ أقرأ في كتاب، فعرفت أن نبيلات عصر حكم أسرة لويس كُنَّ يتبولن دون حياء في حدائق القصور الملكية، وفي أركان ممرات القصر، كان عدم الاهتمام هذا لطيفًا وجميلًا حقًّا، وفكرت أن أمي هي حقًّا آخر نبيلة حقيقية من ذلك النوع من النبيلات.

حسنًا، احتست أمي ملعقة الحساء، ثم أصدرت صوتًا خفيضًا: آه، فسألتُها: شعرة؟ فأجابت: كلا.

لقد صنعتُ حساء هذا الصباح بنفسي على شكل عصيدة بعد أن هرست معلبات البازِلاء التي يوزعها الجيش الأمريكي منذ فترة، ولأنني في الأصل ليس لديَّ ثقة بطبيخي فعندما قالت أمي لي: «كلا»، سألتها هذه المرة بقلب في منتهى الخوف.

- تُرى هل زاد بها الملح والفلفل قليلًا؟

فقالت أمي في البداية:

- كلا، بل هي جيدة الطعم.

ثم إنها بعد أن شفطت الحساء، أمسكت بيدها كرة أرز ملفوفة بأعشاب البحر المجففة وأكلتها.

منذ صغري، وأنا أشعر أن وجبة الإفطار غير لذيذة، ولا أشعر بالجوع قبل الساعة العاشرة تقريبًا، في ذلك الصباح احتسيت الحساء بشكل ما، ولكنه كان من المرهق أن أتناول شيئًا غيره. لذا وضعتُ كرة الأرز فوق الطبق، وقطعتها بعصاتي الأكل قطعًا صغيرة، ورفعتُ قطعة بعصاتي الأكل. ومثلما تفعل أمي عندما تحتسي الحساء، وضعت عصاتي الأكل على فمي بزاوية قائمة، ودفعتها في فمي وكأنني أُطعم طائرًا صغيرًا بالطعام، وأثناء مضغ تلك القطعة بتلكؤ انتهت أمي من تناول الطعام كله، ثم نهضت برقة، واستندت بظهرها إلى الحائط الذي يتعرض لأشعة الشمس، وظلت تتأمل طريقتي في تناول الأكل في صمت، ثم قالت:

- أنتِ يا كازوكو ما زلتِ غير نافعة. يجب أن تكون وجبة الإفطار هي ألذ وجبة.

- ماذا عنك يا أمي؟ هل هي لذيذة؟

- قطعًا بالفعل. فأنا لم أعد مريضة.

- أنا كذلك لست مريضة.

- كلا، كلا.

هزت أمي عنقها وهي تضحك في وحشة.

لقد حدث أن أصبتُ قبل خمس سنوات بمرض رئوي، فالتزمت الفراش، ولكنني شخصيًا أعرف أن ذلك كان المرض بسبب الأنانية. ولكن مرض أمي

منذ فترة كان بالفعل مرضًا مقلقًا ومحزنًا حقًّا. ومع ذلك كانت أمي لا تقلق إلا عليَّ أنا.

قلتُ: «آه».

وهذه المرة أمي هي التي سألت قائلة: «ماذا حدث؟»

التقى وجهانا وشعرتُ أننا متفاهمتان تمامًا، وعندما ضحكتُ بصوت مرتفع، ابتسمت أمي ابتسامة عريضة.

عندما يهاجمني شعور لا يُحتمل بالخجل، تخرج مني تلك الصرخة الخافتة والمريبة «آه». لقد تذكر قلبي بغتة حادث طلاقي منذ ست سنوات واضحًا جليًّا بألوان زاهية، فلم أستطع التحمل وأطلقتُ تلك الآهة، ولكن تُرى ماذا حدث في حالة أمي؟ فمن المحال أن يكون لأمي ماض مخجل مثلي أنا، كلا، أم أن الأمر كذلك؟

- ألم تتذكري يا أمي شيئًا منذ قليل؟ ترى ما هو؟

- لقد نسيته.

- هل هو شيء يخصني أنا؟

- كلا.

- هل يخص ناوجي؟

- أجل.

كان عليَّ الاستمرار في الحديث، ولكنها أدرات عنقها قائلة:

- ربما كان كذلك.

لقد استُدعي أخي الأصغر للتجنيد أثناء دراسته في الجامعة، وذهب إلى الجبهة في الجزر الجنوبية للمحيط الهادئ، ثم انقطعت أخباره، وحتى بعد أن انتهت الحرب ما زال مصيره مجهولًا، وكانت أمي تقول إنها قد أَعَدَّتْ

نفسها لاحتمالية ألا تلقى ناوجي ثانية، ولكنني شخصيًّا لم أُعِدَّ نفسي مثل هذا «الإعداد» مطلقًا، وكنت أعتقد أن من المؤكد أن أستطيع لقاءه.

كنتُ أعتقد أنني يئست من لقائه، ولكن عندما شربت الحساء اللذيذ تذكرت ناوجي فلم أعد أحتمل. كان يجب عليَّ أن أعامله معاملة أفضل.

كان ناوجي قد انهمك بشدة في حب الأدب بعد دخوله المدرسة الثانوية، وبدأ حياة تشبه حياة المراهقين سيئي السلوك، ولا أعرف إلى أي مدى قد سبَّب ذلك معاناة لأمي. ومع هذا فهي تشرب ملعقة واحدة من الحساء فتتذكر ناوجي وتتأوه. لقد دفعتُ الطعام إلى فمي غصبًا وعيناي تحترقان من التأثر.

- إنه بخير. إن ناوجي بخير يا أمي. إن شيطانًا مثل ناوجي لا يموت بتلك السهولة. إنما يموت دائمًا اللطفاء الرائعون الهادئون. أما ناوجي فلا يموت وإن ضُرب بالهراوة.

ضحكتْ أمي وقالت وهي تسخر مني:

- في تلك الحالة سوف تموتين يا كازوكو وأنت شابة، أليس كذلك.
- أوه، ولِمَ ذلك؟ إنني شيطانة دميمة بجبهة كبيرة، ولا خوف عليَّ حتى أصل الثمانين من العمر.
- أحقًّا هذا؟ إذا كان الأمر كذلك فلا خوف عليَّ حتى التسعين من العمر.
- أجل.

أخذتُ في التحدث هكذا، ولكنني انزعجتُ قليلًا. الشرير يطول عمره، والشخص الرائع يموت شابًّا. إن أمي رائعة، وأريد لها أن تعيش طويلًا. لقد وقعتُ في حيرة شديدة.

- يا للخبث!

قلتُ ذلك، وشفتي السفلى ترتعش والدموع تسقط منهمرة من عيني.

لنتحدث عن الثعبان. منذ أربعة أيام أو خمسة، عثر بعض أطفال الجيران في عصر ذلك اليوم على عشر بيضات للأفاعي في أشجار الخيزران المكوِّنة لسور الحديقة وأحضروها معهم.

قال الأطفال: «إنها بيضات للأفاعي»، وأصروا على ذلك. فكَّرت في أنه لو فقست عشرة بيضات للأفاعي في أشجار الخيزران فلن أستطيع النزول إلى الحديقة مطلقًا، ولذا قلتُ لهم:

- لنحرقها.

عندما قلتُ ذلك قفز الأطفال فرحين، وجاءوا خلفي.

كوَّمتُ كومة من أوراق الأشجار والحشائش بجوار أشجار الخيزران، وأشعلتُ فيها النيران، ثم ألقينا فيها البيضات واحدة بعد أخرى. ولكنَّ البيضات لم تشتعل بسهولة. غطَّى الأطفال اللهب بمزيد من أوراق الشجر والحشائش مما قوى عنفوان اللهب، ومع ذلك لا يبدو أن البيضات ستشتعل.

سألتني ابنة المزارع الصغرى وهي تُظهر وجهها من بين سور أشجار الحديقة وتضحك:

- ماذا تفعلين؟
- أشعل النيران في بيضات الأفاعي. لأنني أخاف إن فقست البيضات هنا.
- ما حجمها؟
- في حجم بيض السمان ولكن لونها ناصع البياض.
- حسنًا إنها بيضات ثعبان. وليست بيضات الأفاعي السامة. إن البيض النيء صعب الاحتراق، أليس كذلك؟

قالت الفتاة ذلك وهي تضحك بمرح كبير.

مرت ثلاثون دقيقة على محاولة إشعالها، ولأن البيض لا يشتعل مهما فعلتُ، جعلتُ الأطفال يلتقطون البيض من داخل النيران، وجعلتهم يدفنونها في الأرض بجوار شجرة البرقوق، وجمعتُ أنا حصوات صغيرة وصنعتُ لها شاهد قبر.

- حسنًا، لنصلي لها نحن جميعًا.

قرفصتُ ولامستْ راحتا يديّ بعضهما بعضًا، فقرفص الأطفال خلفي في سكون، واتخذوا نفس وضعي. ثم تركتُ الأطفال وصعدتُ بمفردي وحيدة حتى درجات السلم الحجرية ببطء من فوق الدرجات الحجرية، فوجدت أمي هناك تقف خلف درجات زهور الوستاريا. ثم قالت:

- إنك إنسان يرتكب عملًا مأساويًّا.

- إن ما كنت أظنها أفعى سامة كانت مجرد ثعبان. ولكن لا بأس ما دمت قد دفنتُها كما ينبغي.

ورغم قولي ذلك، فكرت أن مجرد رؤية أمي لما حدث لم يكن جيدًا.

لم تكن أمي ممن يؤمنون بالخرافات مطلقًا، ولكنها بعد موت أبي في بيتنا بحي نيشيكاتا قبل عشر سنوات، أصبحت تخاف الأفاعي والثعابين بشدة. في اللحظات القليلة قبل احتضار أبي مباشرة، رأت أمي حبلًا رفيعًا أسود ساقطًا بجوار وسادته، وعندما حاولت أن تلتقطه بلا وعي كان ذلك ثعبانًا. فهرب برشاقة، وخرج إلى الممر ثم اختفى في مكان مجهول لم تتعرف عليه، ورآه معها حينئذ خالي وادا فقط، فتبادلا النظرات، وبدا أنهما يتحاملان على نفسيهما لالتزام الصمت التام من أجل ألا تحدث جلبة في موقف الاحتضار. نحن أيضًا كنا معهما في المكان نفسه، ولكننا لم نعلم مطلقًا بأمر ذلك الثعبان.

وفي مساء ذلك اليوم الذي مات فيه أبي، رأيتُ بالفعل ذلك الثعبان يتسلق شجرة من الأشجار عند حافة بركة الحديقة فعرفت بالأمر. وأنا الآن في التاسعة والعشرين مع عمري، وكنتُ وقت رحيل أبي منذ عشر سنوات قد بلغتُ بالفعل التاسعة عشرة من العمر. أي لم أكن طفلة صغيرة، وما زالت ذكريات ذلك الوقت واضحة تمامًا حتى بعد مرور عشر سنوات، ويُفترض أنه ما من خطأ في ذلك. وعندما ذهبتُ لقطف زهور لأضعها في التابوت، مشيتُ في اتجاه بِركة الحديقة، وتوقفتُ عند زهور الأزالية عند ضفة البركة، وعندما نظرتُ فجأة كان ذلك الثعبان الصغير ملتفًّا حول أطراف أغصان تلك الأزالية. ذُهلتُ قليلًا وانتقلتُ إلى غصن زهرة الكرياء اليابانية التالي، لأجد ثعبانًا آخر ملتفًّا أيضًا حول ذلك الغصن. كانت الثعابين ملتفة على الأشجار، كل الأشجار، أشجار العبقة الأريجية، وأشجار القيقب اليانعة، وأشجار اللزان، وأشجار الوستاريا وأشجار الكرز. ولكنني مع ذلك لم أكن أشعر بالخوف إلى تلك الدرجة. بل شعرتُ فقط أن الثعابين على الأرجح أيضًا قد حزنت لموت أبي مثلي تمامًا، فزحفت خارجة من وكرها لتترحم على روح أبي الفقيد. وعندما أخبرت أمي خفية بأمر ثعبان الحديقة ذلك، كانت أمي هادئة ولم تزد على أن أدارت رأسها قليلًا آخذة وضع التفكير في شيء ما، ولكنها لم تقل لي وقتها شيئًا.

ولكن الحقيقة أن هاتين الواقعتين الخاصتين بالثعابين جعلتا أمي تكره الثعابين جدًّا. كلا، بل بدلًا من قولنا تكره الثعابين يجب القول إنها تعظِّمها وتخافها، وعلى ما يبدو أنها أصبحت تحمل تجاهها مشاعر التبجيل والرهبة.

عندما عثرت عليَّ أمي وأنا أحرق بيض الثعابين، فكرتُ ساعتها أن أمي لا شك قد شعرت بشيء ما مشئوم بالتأكيد، وفجأة بدأت أنا كذلك أشعر سريعًا أن حرقي لبيض الثعابين أمر مهول، وأصبتُ بقلق عظيم من أن يسبب ذلك

انتقامًا سيئًا لأمي. وإلى اليوم التالي، واليوم الذي يليه أيضًا، لم أستطع نسيان ذلك الأمر، ففي هذا الصباح وفي غرفة السُفرة، قلتُ لأمي ذلك الحديث الشنيع عن موت الإنسان الجميل مبكرًا، ثم بكيت، وبعد الانتهاء من تناول وجبة الإفطار وعند ترتيب المائدة، أحسستُ وكأن ثعبانًا صغيرًا مقززًا يُقصِّر من عمر أمي، وغلبني الإحساس بشعور في منتهى الانزعاج والاشمئزاز.

في ذلك اليوم، رأيتُ ثعبانًا في الحديقة. ولأن الطقس في ذلك اليوم كان معتدلًا، فبعد أن أنهيتُ عملي في المطبخ، حملتُ بعد ذلك كرسيًّا من الخيزران إلى النجيلة في الحديقة، وفكرت في أن أشتغل في أعمال الكروشيه، لكنني عندما نزلت إلى الحديقة حاملة الكرسي، عثرت على الثعبان بين حصوات الحديقة وسط حشائش الخيزران. آه، إنني أكره الثعابين. هذا ما فكرتُ فيه فقط، ولم أفكر في الأمر بشكل أعمق من ذلك، فحملتُ كرسي الخيزران، وعدتُ به، وصعدت إلى حافة البيت المطلة على الحديقة، وجلست عليه هناك وانشغلتُ في أعمال الكروشيه. مرَّ الوقت، وفكرتُ في الذهاب لاستخراج مجموعة لوحات ماري لورانسان من المخزن في عمق القاعة التي في أحد أركان الحديقة، وعندما نزلتُ إلى الحديقة رأيت ثعبانًا يزحف ببطء شديد فوق نجيلة الحديقة. كان هو نفسه ثعبان الصباح النحيف. فكرتُ في أنه ربما كان أنثى ثعبان، وعندما اخترقتْ عرض النجيلة بهدوء ووصلتْ إلى ظل الغابة، توقفت ورفعت عنقها، وهزت لسانها النحيف الذي يشبه اللهب. ثم أخذت وضع تأمل المكان حولها، وبعد فترة تدلى لسانها وجثمت على نفسها في هيئة موحشة جدًّا. وكنتُ أميل وقتها إلى التفكير بقوة قائلة: «يا لها من أفعى شديدة الجمال» فقط، وأخيرًا ذهبتُ إلى المخزن وأخرجتُ مجموعة اللوحات، وأثناء عودتي نظرت خلسة إلى المكان الذي كانت فيه أنثى ثعبان منذ قليل ولكنني لم أعثر عليها.

وبالقرب من المساء، كنتُ أنظر تجاه الحديقة وأنا أتناول الشاي مع أمي في الغرفة ذات الطراز الصيني، ظهرت مرة أخرى أنثى الثعبان التي رأيتها في الصباح تزحف ببطء في الدرجة الثالثة من درجات السلالم الحجرية.

اكتشفتها أمي أيضًا وقالت:

- إنها أنثى ثعبان؟

ونهضتْ واقفة في اللحظة نفسها، وركضتْ مقتربة مني، وظلت واقفة في ذهول وهي تمسك ذراعي. وعندما قيل لي ذلك نطقتُ بلساني ما عنَّ لي فجأة:

- أم البيضات؟

- أجل، إنها هي.

كان صوت أمي مبحوحًا. وأخذنا نراقب تلك الحية ونحن نلتزم الصمت ونكتم أنفاسنا، وتمسك كل منا يد الأخرى. بدأت الحية التي كانت ساكنة في كآبة، تتحرك مرة أخرى وهي تترنح فوق الصخرة، ثم اخترقت درجات السلم الحجرية بالعرض وهي تبدو في منتهى الضعف، ودخلت إلى جهة أشجار السوسن.

قلت لها ذلك بصوت خفيض:

- إنها تجيء وتذهب في الحديقة منذ الصباح يا أمي.

فجلست أمي بدون حركة بعد أن تنهدت تنهيدة ثم قالت بصوت حزين:

- أليس كذلك؟ إنها تبحث عن بيضاتها. مسكينة!

فضحكتُ ضحكات خفيفة دون جدوى.

عندما ضربت شمس الغروب بأشعتها وجه أمي، بدت عينها براقة لامعة وكأنها بلون أزرق، ذلك الوجه الذي بدا مختلطًا بالغضب قليلًا، كان في منتهى الجمال لدرجة الرغبة في أن تقفز نحوه وتُقبِّله. وعندها فكرت: آه إن وجه أمي يشبه في مكان ما منه أنثى ثعبان تلك الحزينة. ثم فكرت ولسبب

مجهول: ربما تقتل الأفعى الرقطاء الدميمة التي تسكن داخل صدري في يومٍ ما الثعبانَ الأم هذه، تلك الجميلة جدًّا جدًّا ذات الحزن العميق. لماذا؟ لماذا؟

وضعتُ يدي على كتف أمي اللين الضعيف وجسدي يتلوى لسبب غير معلوم.

لقد تركنا بيتنا في حي نيشيكاتا في طوكيو، وانتقلنا إلى هذا البيت الجبلي الذي يشبه البيوت الصينية في منطقة إيزو، في بداية شهر ديسمبر من العام الذي استسلمت فيه اليابان دون قيد أو شرط. بعد أن توفي أبي، كان خالي وادا – أخو أمي الأصغر وهو الوحيد الباقي لنا من جميع الأقرباء – يتولى العناية بنا اقتصاديًّا من جميع الوجوه، ولكن بعد انتهاء الحرب وتغير العالم من حولنا، لم يعد خالي وادا يستطيع تحمل ذلك، ولم يعد أمامنا سبيل إلا بيع بيتنا، والتخلي عن الخادمة، وشراء بيت جديد في الأرياف لنا نحن الاثنين أنا وأمي فقط، وأن نعيش فيه هكذا بحريتنا، قال خالي ذلك لأمي على ما يبدو، كانت أمي أكثر جهلًا من الأطفال بشأن المال فهي لا تفهم شيئًا، وعندما قيل لها ذلك من خالي وادا، يبدو أنها وافقت وقالت له: «إذن نفعل ذلك وأرجو أن تتولى أنت هذا الأمر».

في نهاية شهر نوفمبر جاءنا بريد مستعجل من خالي، يفيد بأن منتجع الكونت كاوادا على ساحل البحر بمحاذاة سكك حديد سونزو قد عُرض للبيع، ويقع البيت على هضبة عالية تسمح له بأن يطل على منظر بديع، ومُلحق بالبيت أرض زراعية تبلغ مساحتها ثلاثمئة وثلاثين مترًا مربعًا تقريبًا، وتلك المنطقة تشتهر بزراعة البرقوق الياباني وشتاؤها دافئ وصيفها معتدل. قال خالي في خطابه يطلب منا الذهاب إلى مكتبه في حي غينزا: أعتقد أن من المؤكد أن ينال البيت إعجابكم بمجرد السكن فيه، ولكنه يُعتقد أنه ثمة ضرورة لمقابلة مالك البيت والتحدث إليه غدًا.

وعندما سألتُ أمي: «هل ستذهبين يا أمي؟» ضحكت بصوت موحش جدًّا بشكل لا يُحتمل وقالت: «بالتأكيد! فأنا من طلبت منه ذلك».

وفي اليوم التالي، طلبتْ من سائقنا السابق السيد ماتسوياما أن يرافقها، وغادرت أمي البيت بعد الظهيرة بقليل، وعادت في الساعة الثامنة ليلًا تقريبًا، يرافقها السيد ماتسوياما حتى البيت.

دخلتْ غرفتي ووضعتْ يدها على مكتبي ثم جلست كما هي حتى لا تنهار واقعة، وقالت كلمة واحدة فقط:

- قررتُ.

- ما تعنين بكلمة «قررت»؟

- كل شيء.

اندهشتُ قائلة: «ماذا؟ حتى قبل أن نرى أي البيوت هو ...»

وضعت أمي أحد مرفقيها فوق المكتب، ووضعت يدها على جبهتها قليلًا، وأطلقت تنهيدة أسى صغيرة، ثم قالت:

- لأن خالك وادا قال إنه مكان جيد، وأحسستُ أنا أيضًا أنه من الأفضل أن أغمض عيني، ثم أفتحها ونحن ننتقل إلى ذلك البيت.

رفعت أمي وجهها بعد أن قالت ذلك، وابتسمت ابتسامة ضئيلة. كان وجهها ذلك الذي نحف قليلًا في منتهى الجمال.

- وهو كذلك.

وافقتها أنا أيضًا، وقد انهزمتُ أمام جمال ثقتها المطلقة تلك في خالي وادا. ثم أضفتُ: «حسنًا إن كان الأمر كذلك فسأغمض عيني أنا أيضًا».

ضحكنا معًا بصوت عالٍ، ولكن كنا نشعر بمشاعر وحدة شديدة الوطء.

وبعد ذلك أتى العمَّال إلى بيتنا كل يوم وبدأوا في إعداد الأمتعة للانتقال. ثم أتى خالي وادا كذلك، وقسَّم الأمتعة ما يُباع منها وما لا يُباع. وكنتُ أنا

وأوكيمي الخادمة مشغولين جدًّا في تجهيز الملابس، وحرق الكراكيب الزائدة عند طرف الحديقة، ولكن أمي كانت لا تمد يدها مطلقًا للمساعدة في ترتيب الأمتعة، أو تعطي لنا حتى أي تعليمات، بل كانت تقضي كل الوقت في غرفتها طوال اليوم بلا عمل.

وحتى عندما تشجعتُ وسألتها بلهجة حادة قليلًا: «ماذا حدث؟ هل فقدتِ الرغبة في الذهاب إلى إيزو؟»

أجابت فقط بوجه شارد: «كلا».

انتهت التجهيزات بعد مرور عشرة أيام. وفي المساء بينما كنت أنا وأوكيمي نحرق الأوراق والقش على حافة الحديقة، خرجت أمي أيضًا من غرفتها، ووقفت عند البيت، عند الحافة التي تطل على الحديقة، تنظر إلى النيران التي نحرقها صامتة. تهب رياح غربية باردة تشبه لون الرماد، ويزحف الدخان فوق الأرض بانخفاض. نظرتُ عاليًا إلى وجه أمي فجأة، واندهشتُ بشدة لأن وجه أمي كان سيئًا لدرجة لم أرها من قبل قط، وعندما صرختُ قائلة: «أمي! إن وجهك شاحب» ابتسمت أمي ابتسامة فاترة وقالت: «كلا، مطلقًا».

ثم عادت مرة أخرى إلى غرفتها بهدوء.

في تلك الليلة، ولأننا كنا قد وضعنا الفراش في الأمتعة المنقولة، نامت أوكيمي في غرفة الطابق الثاني التي على الطراز الغربي، ونمتُ أنا وأمي معًا في غرفة أمي على فراش استعرناه من بيت الجيران.

قالت لي أمي شيئًا لا أتوقعه بصوت ضعيف وشائخ لدرجة أدهشتني:

- لأنك يا كازوكو موجودة. فسأذهب أنا إلى إيزو، وستذهبين معي يا كازوكو لأنك يا كازوكو موجودة معي.

أصابتني صدمة فسألتها بلا وعي:

- وإذا لم تكن كازوكو موجودة؟

فبكت أمي فجأة، وقالت على دفعات متقطعة وهي تبكي:

- فالموت أفضل لي. إن أمك كانت تريد أن تموت في هذا البيت الذي مات فيه أبوك.

وفي النهاية اشتد بكاؤها وأصبح عنيفًا.

لم يسبق أن تفوهت أمي أمامي بمثل هذا الضعف حتى الآن ولو مرة واحدة، ولم تُرِني هيئتها وهي تبكي بمثل هذا العنف من قبل أيضًا. لم تُظهر أمي هيئة ضعيفة بمثل هذا الشكل مطلقًا عند موت أبي، أو عند ذهابي إلى بيت زوجي، أو عند حملي لطفل في بطني ومجيئي لبيت أمي هذا، أو عند ولادة الطفل ميتًا في المستشفى، أو عند مرضي ورقودي في الفراش، أو حتى عندما يفعل ناوجي فعلًا سيئًا. خلال عشر سنوات منذ موت أبي، لم تختلف أمي في أي شيء ولو قليل عما كانت عليه أثناء حياة أبي في هذه الدنيا، فكانت الأم الحنون غير المبالية. ثم نشأنا نحن أيضًا مدللين وهي تربينا على يديها معتمدين على ذلك. ولكن المال نفد من أمي. لقد صرفته كله بلا ندم ولا بخل من أجلنا نحن، من أجلنا أنا وناوجي، دون أن تقتطع منه شيئًا لنفسها. ثم اضطرتْ بالفعل إلى ترك هذا البيت الذي عاشت فيه لسنين طويلة، لنعيش نحن الاثنين فقط في بيت ضيق في مدينة إيزو، لنبدأ حياة بائسة منعزلة. لو كانت أمي امرأة شريرة تبخل علينا وتوبخنا، ثم تحتال في ادخار المال سرًّا من أجل نفسها، ومهما تغير العالم من حولنا، فلم تكن لتريد الموت هكذا، آه كم هي بائسة هذه الحياة! وكم هو جحيم مرعب لا نجاة منه! فقدان المال بهذه الحال! لأول مرة منذ ولادتي أنتبه إلى هذا الشعور، فيمتلئ قلبي بمشاعر فياضة ولا أستطيع البكاء من شدة الألم حتى وإن أردت. تُرى هل ما يُطلق على الشعور في تلك الحالة هو مهابة الحياة؟ مشاعر تقييد وضيق، أنام على ظهري مثل الصخور وكأنني مقيدة بالأغلال.

في اليوم التالي -كما توقعت- بدا وجه أمي شاحبًا، وكانت نوعًا ما متململة، وبدا عليها أنها تريد البقاء في هذا البيت أطول فترة ممكنة، ولكن خالي وادا داهمنا، وقال إنه شحن أغلب الأمتعة بالفعل، ويجب السفر إلى إيزو اليوم، ولذا ارتدت أمي المعطف متكاسلة، وأنحت رأسها بالتحية صامتة تجاه الخادمة أوكيمي والجيران الذين جاءوا لوداعها، وخرجنا نحن الثلاثة أنا وهي وخالي من بيتنا في حي نيشيكاتا.

كان القطار خاليًا نسبيًّا، واستطعنا نحن الثلاثة الجلوس فيه. داخل القطار، كان خالي في مزاج نفسي جيد جدًّا، يتغنى بأغنية ما، ولكن وجه أمي كان شاحبًا، وهي تطيل النظر إلى الأرض، وبدا أنها تعاني من برودة الجو الشديدة. غيَّرنا القطار في محطة ميشيما إلى خط سونزو، ونزلنا في محطة إيزو ناغاوكا، ثم بعد ذلك انتقلنا بالباص لمدة ربع ساعة تقريبًا، وبعد أن نزلنا من الباص واتجهنا في اتجاه الجبل، وصعدنا منحدرًا يميل ميلًا لطيفًا، وجدنا قرية من تجمع صغير من البيوت، وفي طرف تلك القرية وجدنا بيتًا جبليًّا بُني بعناية واهتمام على الطراز الصيني.

قلتُ وأنفاسي تتقاطع:

- إنه مكان جيد، أكثر مما كنا نعتقد يا أمي، أليس كذلك؟
- أجل.

قالت أمي ذلك وهي تقف أمام مدخل البيت الجبلي، وقد برقت عيناها للحظة بالفرح.

ثم قال خالي بفخر:

- أولًا، الهواء عليل، هواء نظيف وصحي.

ابتسمت أمي وقالت:

- هذا صحيح. الهواء هنا لذيذ، حقًّا لذيذ.

ثم ضحكنا نحن الثلاثة.

عند الدخول من المدخل، كانت الأمتعة قد وصلت بالفعل من طوكيو، فامتلأ بها المدخل وامتلأت بها الغرف.

جذَبَنا خالي الذي كان في حالة ابتهاج إلى غرفة المعيشة وأجلسنا وهو يقول: «دعونا نرى المنظر من غرفة المعيشة».

كانت الساعة الثالثة عصرًا تقريبًا، وكانت أشعة شمس الشتاء الرقيقة تغطي حشائش الحديقة، وثمة بركة صغيرة في نهاية درجات سلالم حجرية، وكثير من أشجار البرقوق، وفي الحديقة تمتد حقول برتقال اليوسفي، ومن هناك ثمة طريق ريفي، وفي الجانب المواجه له أحواض أُرز، ثم خلف ذلك ثمة غابة صنوبر، ومن خلف تلك الغابة يُرى البحر. عندما كنا نجلس في غرفة المعيشة، يبدو المشهد وكأنه يمكنني لمس البحر في خط أفقي بنفس ارتفاع ثديي بالضبط.

قالت أمي في رقة وحنان:

- إنه منظر رقيق.

وقلتُ أنا في انشراح قلب:

- تُرى هل هذا بسبب الهواء؟ تبدو أشعة الشمس وكأنها مختلفة عن طوكيو. وكأن الأشعة مغزولة من حرير.

يتكون البيت من غرفة مساحتها عشر حصيرات تاتامي[1]، وأخرى ست، ثم غرفة استقبال على الطراز الصيني، ثم مدخل بمساحة ثلاث حصيرات، وثمة أيضًا مساحة ثلاث حصيرات عند الحمام وغرفة طعام ومطبخ، وفي الطابق الثاني غرفة على الطراز الغربي للضيوف بها سرير ضخم. فكرتُ أن

(1) تقاس مساحات الغرف في اليابان بعدد ما يمكن فرشه عليها من حصير التاتامي الياباني، وتقدر مساحة عشر حصيرات تاتامي بما يعادل 18 مترًا مربعًا تقريبًا، وست حصيرات تعادل 11 مترًا مربعًا، وثلاث حصيرات تعادل 5.5 أمتار مربعة تقريبًا / المترجم.

هذا العدد من الغرف كثير بالنسبة لنا نحن الاثنين فقط، فحتى وإن عاد ناوجي وأصبحنا ثلاثة أفراد فلن نشعر بالضيق مطلقًا.

ذهب خالي إلى النُّزُل الوحيد في هذه القرية لكي يتفاوض معهم على إعداد وجبة لنا، وعندما وصلت الوجبة إلى غرفة المعيشة فتحها خالي وشرب معها الويسكي الذي أحضره معه، وأخذ يحكي عن ذكريات فشله عندما ذهب للترفيه إلى الصين مع الڤيكونت كاوادا المالك السابق لهذا البيت الجبلي، كان في منتهى المرح. أما أمي فكانت قد تناولت من الوجبة القليل فقط بعصاتي الأكل، وعندما بدأ الظلام يحل على المكان قالت أمي بصوت خفيض: «دعوني أنام قليلًا كما أنا».

أخرجتُ الفراش من الأمتعة، وجعلتها تنام عليه، ولأنني قَلِقْتُ عليها جدًّا، بحثتُ في الأمتعة عن مقياس الحرارة وأخرجتُه، وعندما قستُ درجة حرارتها، وجدتها 39 درجة.

وبدا أن خالي أيضًا قد أصابته الدهشة من ذلك، ومن ثم ذهب للبحث عن طبيب في القرية التي بأسفل الجبل.

وعندما ناديتُ عليها: «أمي! أمي!» كانت تغط في نوم عميق.

أمسكتُ بيد أمي الصغيرة، وأخذت أشهق بالبكاء. أشعر أنها مسكينة حقًّا وتستحق الشفقة، وأننا نحن الاثنين مسكينتان ونستحق الشفقة، وظللت أبكي لا تكاد تتوقف دموعي. ومع البكاء، خطر في ذهني أنني أريد حقًّا أن أموت مع أمي على هذه الحال. فنحن لا نحتاج شيئًا بعد الآن. وفكرتُ أن حياتنا انتهت حقًّا عندما خرجنا من بيتنا في حي نيشيكاتا.

مرت ساعتان تقريبًا ثم عاد خالي ومعه طبيب القرية. كان طبيب القرية يبدو كبيرًا جدًّا في السن، يرتدي زيًّا يابانيًّا تقليديًّا من نوع هاكاما على طراز سنداي هيرا مصنوعًا من الحرير الراقي، وجوربًا أبيض اللون.

انتهى الكشف، وصرح الطبيب بما لا يُطمئن قائلًا:

- ربما يتطور الأمر إلى الإصابة بالتهاب رئوي. ولكن حتى وإن أصيبت بالتهاب رئوي، فلا قلق.

ثم أعطاها حقنة ورحل.

وفي اليومِ التالي أيضًا لم تنخفض درجة حرارة أمي. أعطاني خالي وادا ألفيْ ين، تحسبًا لحالة الطوارئ ثم طلب مني أن أرسل إليه برقية في طوكيو إذا احتاج الأمر إلى دخولها المستشفى، قال ذلك وتركني، وعاد لطوكيو في ذلك اليوم.

أخرجت من الأمتعة القليل من أدوات الطبخ، وصنعت حساء أُرز لأمي، وقدمته لها. أكلت أمي ثلاث ملاعق منه وهي نائمة، ثم هزت رأسها.

قبل الظهيرة بقليل، أتى طبيب القرية التي تحت الجبل مرة أخرى. ولم يكن هذه المرة مرتديًا زي الهاكاما، ولكنه كان يرتدي الجورب الياباني الأبيض نفسه.

عندما قلتُ له:

- هل من الأفضل إدخالها مستشفى؟

أجاب مرة أخرى إجابة غير مطمئنة قائلًا:

- كلا، ما من حاجة إلى ذلك. لأنني سأعطيها اليوم حقنة أكثر قوة وتأثيرًا، وعلى الأرجح ستنخفض الحمى.

ثم غادر بعد أن أعطاها تلك الحقنة القوية التي ذكرها.

ولكن تُرى هل أحدثت تلك الحقنة ذلك التأثير المُعْجِز! فبعد ظهيرة ذلك اليوم بقليل، أصبح وجه أمي شديد الحمرة، وتصبَّب منها عرق كثير، وعندما بدلت منامتها، ضحكت أمي وقالت:

- ربما كان طبيبًا ماهرًا.

انخفضت حرارتها حتى سبعة وثلاثين درجة، فسررتُ لذلك وجريتُ مسرعة إلى النُّزُل الوحيد في هذه القرية، وطلبت من مالكة ذلك النزل، أن تبيع لي عشر بيضات، وعلى الفور سلقتها نصف سلقة وقدمتها لأمي. فأكلت أمي ثلاث بيضات منها، وبعد ذلك تناولت نصف طبق حساء أرز.

وفي اليوم التالي، جاء طبيب القرية الماهر، يلبس أيضًا الجورب الأبيض، وعندما شكرته على الحقنة القوية التي أعطاها لأمي أمس، أومأ إيماءة عميقة بوجه تبدو على ملامحه أن فاعلية الحقنة أمر طبيعي، ثم أجرى الكشف عليها بعناية كبيرة، وحول انتباهه ناحيتي وقال قولًا غريبًا:

- لم تعد السيدة الكبيرة مريضة الآن. ولذلك يمكنها أن تتناول أي طعام وأن تفعل أي شيء.

ودعتُ الطبيب حتى مدخل البيت، وعندما عدتُ إلى غرفة المعيشة، وجدتُ أمي تجلس فوق الفراش. قالت بوجه في منتهى المتعة وكأنها تتحدث إلى نفسها:

- إنه حقًّا طبيب ماهر جدًّا، فأنا لم أعد مريضة.

- هل أفتح النافذة يا أمي، إن الثلوج تهطل في الخارج.

لقد بدأت ندف كبيرة من الثلوج في حجم بتلات زهور الهندباء الكبيرة تهطل ببطء واحدة وراء أخرى. فتحتُ النافذة، وجلستُ بجوار أمي، نتأمل ثلوج منطقة إيزو عبر الزجاج.

قالت وكأنها تتحدث إلى نفسها:

- لم أعد مريضة. عندما أجلس هكذا، أشعر أن كل ما فات كان مجرد حلم. لقد كنتُ حقًّا أكره قبل فترةٍ الانتقالَ من البيت القديم والمجيء

إلى إيزو، كرهًا شديدًا بأي شكل وعلى أي حال. كنتُ أريد البقاء في بيت حي نيشيكاتا لوقت أطول ولو كان يومًا أو نصف يوم. وعندما ركبتُ القطار، أحسستُ وكأنني نصف ميتة، وعندما وصلت إلى هنا، أحسست في البداية أن الأمر ممتع، ولكن بعد حلول الظلام، اشتقتُ إلى طوكيو بالفعل، واحترق صدري، وابتعد وعيي بعيدًا. لم يكن هذا مرضًا عاديًا، لقد قتلني الرب مرة، ثم جعلني شخصًا مختلفًا عما كنتُ عليه حتى أمس وأعاد إحيائي من جديد.

على أي حال وبعد ذلك وحتى اليوم، استمرت حياتنا المعيشية بمفردنا في هذا البيت الجبلي في سلام وهدوء بدون حوادث، وتعامل معنا أهالي القرية بطيبة قلب وحنان. كنا قد انتقلنا للسكن هنا في ديسمبر من العام الماضي، ومر بنا حتى اليوم يناير وفبراير ومارس وأبريل، عشنا حياة منفصلة تقريبًا عن العالم وعن المجتمع، فدون إعداد الوجبات، كنا نجلس في الحديقة لنصنع بالكروشيه ملابس من الصوف، ونقرأ كتبًا في الغرفة التي على الطراز الصيني، ونحتسي الشاي الأخضر. وفي شهر فبراير تفتحت زهور البرقوق وغطت جميع أنحاء هذه المنطقة السكنية المنعزلة. وحتى بعد قدوم شهر مارس، ظل الطقس معتدلًا دون هبوب الرياح لأيام كثيرة، ولذا لم تذبل زهور البرقوق مطلقًا، واستمرت في التفتح بجمال وزهاء حتى نهاية شهر مارس. تبدو الزهور جميلة لدرجة التنهّد في كل وقت صباحًا وظهرًا ومساءً وليلًا. نفتح الباب الزجاجي الذي ناحية الحديقة، فتنساب روائح الزهور خفية إلى داخل الغرفة بلا توقف. وفي نهاية شهر مارس، عندما يأتي المساء، سيكون من المؤكد أن تهب الرياح. فحينها أرص الأكواب في غرفة الطعام عند الغروب، لتدخل من النافذة بتلات زهور البرقوق فتسقط داخل الكوب وتبتل بالماء. حتى جاء شهر أبريل، فكنا أنا وأمي نجلس على حافة

البيت المطلة على الحديقة نعمل بالكروشيه، حيث كانت أغلب موضوعات حديثنا تنصب على خطط الزراعة والحقل. قالت أمي إنها تريد أن تساعدني. آه، عندما أكتبها بهذا الشكل، يبدو الأمر وكأننا -كما قالت أمي- قد متنا مرة، وعدنا للحياة بوصفنا أناسًا مختلفين، ولكن البشر في نهاية المطاف لا يستطيعون العودة للحياة مثل قيامة المسيح. قالت أمي ذلك لكنها -مع ذلك- شربت ملعقة من الحساء، وتذكرت ناوجي، وصاحت قائلة: آه. وفي الواقع لم يكن يبدو أن جرحي القديم الذي جُرحته سيندمل بسهولة.

آه، لكم أود الكتابة عن كل شيء بوضوح وبلا إخفاء شيء أو تجميله. بل لدرجة أنني يأتيني أحيانًا اعتقاد خفي أن سكون وسلام هذا البيت الجبلي كله مزيف، ولا يزيد عن أنه يتظاهر بذلك. حتى وإن كان ذلك فترة نقاهة قصيرة أعطاها الرب للأم والابنة، ولكني بالفعل لا أحس إلا أن لذلك السلام ظلًّا مظلمًا ومشؤومًا يتسلل خفية ويقترب منا بالفعل. فأمي مع تظاهرها بأنها سعيدة، تزداد ضعفًا وذبولًا يومًا عن يوم، وهكذا سكنت الأفعى السامة في صدري، وسمنتُ لدرجة أن جعلت أمي ضحية لذلك، وكلما ضغطتُ على نفسي أكثر وأكثر سمنتُ أكثر، آه، أما من الجيد أن يكون سببُ كل ذلك تغيُّرَ المواسم فقط! فأنا في تلك الأثناء، كنتُ أحيانًا لا أستطيع تحمل تلك المعيشة. لقد أحرقت بيضات الثعبان، وهو عمل لا يليق بسيدة محترمة، فلا شك أنها كانت أحد أعراض مشاعر غضبي من هذه الحياة. وقد زاد ذلك من حزن أمي، وجعلها تذبل وتضعف أكثر وأكثر.

حب... بعد أن كتبتُ تلك الكلمة، لم أستطع كتابة شيء بعدها.

الفصل الثاني

مرت عشرة أيام تقريبًا بعد أن وقعت حادثة بيضات الثعبان، ثم وقعت أحداث مشؤومة متتالية، جعلتْ أحزانَ أمي في النهاية تزداد عمقًا، وحياتها تذبل.

لقد كنتُ على وشك أن أتسبب في حريق.

بل قمت بإشعال حريق. لم أفكر ولم أحلم من قبل قَطُّ -في حياتي كلها منذ كنتُ طفلة وحتى الآن- أن تقع مثل تلك الحادثة المرعبة.

تُرى هل كنتُ أنا ما يُطلق عليه «أميرة مدللة» لكيلا أنتبه إلى تلك الكلمة الطبيعية جدًّا التي تقول: «إن استهترت بالنار وقع حريق!»

لقد استيقظت في منتصف الليل للذهاب إلى دورة المياه، وعندما ذهبتُ إلى الساتر الذي بجوار مدخل البيت، كانت غرفة الاستحمام مضاءة. وعندما اختلستُ النظر دون مبالاة، كان زجاج باب الحمام ذا لون أحمر قانٍ، وسمعتُ صوت قرقعة. أسرعتُ بخطوات مهرولة وفتحتُ باب الحمام المنزلق، وعندما خرجتُ للخارج حافية القدمين، وجدتُ جبل الحطب المكوم بجوار فرن الحمام يشتعل بنيران عظيمة القوة.

قفزت طائرةً إلى بيت المزارعين الممتد بعد حديقة البيت، وطرقت بابهم بكل ما لديَّ من قوة وأنا أصرخ:

- يا سيد ناكاي! أرجوك استيقظ! هناك حريق!

ويبدو أن السيد ناكاي كان قد نام بالفعل، ولكنه أجاب:

- ماذا! سأذهب على الفور.

وبينما كنتُ أقول له «أرجوك، أسْرِعْ أرجوك»، خرج قافزًا من بيته وهو يرتدي ملابس نوم خفيفة.

وأسرعنا نحن الاثنان إلى النار، وأخذنا نملأ الدلو بالماء من البركة، وعندها سمعت أمي تصرخ من غرفتها آه. ألقيت بالدلو وصعدتُ من الحديقة إلى الممر.

- أمي لا تخافي، الأمر على ما يرام. استريحي أنت.

وحضنت أمي التي كانت على وشك السقوط وذهبتُ بها إلى فراشها، وجعلتها تنام، ثم قفزتُ عائدة إلى مكان الحريق، وهذه المرة غرفتُ الماء من حوض الاستحمام وسلمته بيدي إلى السيد ناكاي، ليسكبها على النار فزادت النيران من قوتها، فلا يبدو مطلقًا أن مثل تلك الكمية من المياه كافية لتطفئها.

ثم سمعت صوتًا من أسفل يصرخ:

- حريق! حريق! حريق في البيت الجبلي.

وعلى الفور تسلق أربعة أو خمسة رجال من أهالي القرية الأسوار، وقفزوا داخلين. ثم حملوا المياه في الدلو متتابعين، بداية من القناة التي أسفل الأسوار وأطفأوا الحريق خلال دقيقتين أو ثلاث دقائق بعد أن كانت النيران على وشك أن تنتقل إلى سقف الحمام.

وفي اللحظة التي فرحت فيها لذلك، انتبهت إلى سبب الحريق فأصابني الرعب. لقد انتبهت حقًّا للمرة الأولى في ذلك الوقت أن تلك النيران قد اندلعت من جانب كومة الحطب الموضوعة بجوار الحمام بعد أن كنتُ أظن أنني أخرجت الحطب الباقي مشتعلًا من الفرن وأطفأته. وعندما انتبهتُ إلى ذلك، وقفتُ في ذهول وبي رغبة عارمة في البكاء، فسمعتُ خارج السور المقابل لهذا البيت ابنة السيد نيشيياما، وهي تتحدث بصوت عالٍ قائلة: «لقد احترق الحمام كله، بسبب عدم إطفاء نار الفرن».

ثم أتى إلى بيتنا عمدة القرية السيد فوجيتا، وشرطي الدورية السيد نينوميا، ورئيس فرقة الإطفاء السيد أوؤتشي. سألني السيد فوجيتا بوجهه المبتسم طيب القلب دائمًا:

- من المؤكد أن الدهشة أصابتك، أخبريني ماذا حدث؟

- أنا الملومة. الحطب الذي كنتُ أظن أنني أطفأته...

أخذتُ أقول ذلك، ولكنني من شدة الشفقة على نفسي، انسابت دموعي بغزارة فطأطأتُ رأسي والتزمت الصمت. وفكرتُ وقتها أنهم ربما يأخذونني إلى نقطة الشرطة، ويعاملونني معاملة المجرمين. أصبحتُ فجأة أشعر بالخجل من هيئتي الفوضوية وأنا بملابس النوم حافية الأقدام، وأحسستُ من كل قلبي أنني وصلت للحضيض.

قال السيد فوجيتا بهدوء وبنبرة حديث متعاطفة:

- فهمت. ولكن أين والدتك؟

- تنام في غرفتها. فقد أصابتها صدمة كبرى...

فتدخل السيد نينوميا شرطي الدورية الشاب وكأنه يواسيني قائلًا:

- ولكن، أمر جيد أن النيران لم تصل إلى داخل البيت.

وعندها، أتى السيد ناكاي المزارع بعد أن أصلح من حالته وارتدى ملابس لائقة، وقال بصوت منفعل محاولًا أن يُداري على إهمالي الغبي:

- ما هذا؟ إنها مجرد شعلة ضئيلة في الحطب ولم تصل حتى إلى درجة حُرَيْقة.

أومأ العمدة السيد فوجيتا مرتين أو ثلاث مرات وقال:

- حقًّا. لقد فهمت.

ثم تشاور بصوت منخفض مع شرطي الدورية السيد نينوميا في أمر ما ثم أضاف:

- حسنًا سوف نذهب، أرجو إبلاغ تحياتي إلى السيدة الوالدة.

ورحل بحالته تلك ومعه السيد أوؤتشي رئيس فرقة الإطفاء وباقي السادة الآخرين.

وبقي فقط السيد نينوميا شرطي الدورية، ثم اقترب ليكون أمامي مباشرة، وقال بصوت خفيض كأنه يتنفس فقط:

- حسنًا، فيما يتعلق بما حدث الليلة فلن نقدم بلاغًا.

وبعد أن رحل نينوميا شرطي الدورية، سألني السيد ناكاي المزارع بصوت متوتر يبدو عليه القلق حقًا:

- ماذا قال السيد نينوميا؟

وعندما أجبته: «قال إنه لن يقدم بلاغًا»، اقترب الجيران بالقرب من السور الشجري، لكي يسمعوا على ما يبدو إجابتي، وبدأوا في الرحيل واحدًا بعد آخر وهم يقولون:

- حقًّا! جيد، هذا جيد.

وقال السيد ناكاي: «تصبحين على خير» ثم رحل، وتُركتُ أنا وحيدة، أقف شاردة بجوار كومة الحطب المحترقة، أذرف الدموع وأنا أنظر عاليًا إلى السماء التي كانت بالفعل سماء الفجر التي أوشكت فيها الشمس على الشروق.

غسلتُ يدي وقدمي في الحمام، وكنت نوعًا ما في حالة رعب من لقاء أمي، فتكاسلت في الحمام الضيق أعدل شعري، ثم ذهبتُ بعد ذلك إلى المطبخ وبدأت أرتب أواني الطعام في المطبخ دون أية ضرورة لذلك في هذا الوقت من الفجر وحتى تشرق الشمس.

أشرقت الشمس، وبخطوات خفية متسللة ذهبتُ إلى غرفة النوم، فكانت أمي قد بدلت تمامًا ملابس النوم، وجلست على المقعد في الغرفة الصينية

وعلى ملامحها التعب الشديد. عندما رأتني، ضحكت بمرح، فكان وجهها شاحبًا أزرق اللون لدرجة أصابتني بالدهشة.

لم أضحك والتزمت الصمت، ووقفتُ خلف مقعد أمي. بعد مرور فترة قالت أمي:

- لم يكن الأمر خطيرًا. إنما وُجد الحطب لكي يشتعل.

أحسستُ فجأة بالمرح، فضحكتُ بصوت عال. وتذكرت كلمة الكتاب المقدس التي تقول: «تفاح من ذهب في مصوغ من فضة، كلمة مقولة في محلها»، فشكرت الرب من كل قلبي على سعادتي بامتلاك مثل هذه الأم طيبة القلب. فما حدث ليلة أمس فات ومضى. فكرتُ أنني لا يجب أن أغتم أو أكتئب، فكنتُ أقف بلا كلل أو ملل خلف أمي التي تجلس في الغرفة الصينية نتأمل منظر البحر في إيزو من خلال زجاج النافذة، وفي النهاية أصبحت أنفاس أمي الهادئة متطابقة مع أنفاسي بالضبط.

تناولنا وجبة إفطار خفيفة، ثم بدأتُ في ترتيب وضع كومة الحطب التي احترقت، وعندها جاءت السيدة أوساكي التي تملك النُّزُل الوحيد في هذه القرية وأسرعت بالدخول من الحديقة وهي تقول والدموع تلمع في عينيها:

- ماذا حدث؟ ما الذي حدث؟ لقد سمعت الخبر حالًا، ما الذي حدث حقًّا ليلة أمس؟

اعتذرتُ له بصوت خفيض:

- أنا آسفة.

- لا داعي للأسف ولا لغيره. ولكن ماذا عن الشرطة؟

- قالوا لا بأس.

فتهلل وجهها فرحًا من كل قلبها وقالت:

- حقًّا؟ هذا جيد.

واستشرتُ السيدة أوساكي في كيفية تقديم الشكر والاعتذار لأهالي القرية. وكما توقعتُ قالت السيدة أوساكي: «إن الأموال هي أفضل حل»، وعلمتني أنني يجب أن أحمل أموالًا وأذهب إلى كل بيت على حدة للاعتذار لهم.

- ولكن إن كنتِ يا سيدتي تكرهين الذهاب بمفردك فيمكنني مرافقتك والذهاب معك.
- وهل من الأفضل الذهاب بمفردي؟
- هل تستطيعين ذلك؟ بالطبع الذهاب بمفردك هو الحل الأمثل.
- حسنًا، سأذهب بمفردي.

ثم بعد ذلك ساعدتني السيدة أوساكي في ترتيب آثار الحريق.

انتهيتُ من ترتيب آثار الحريق ثم أخذتُ أموالًا من أمي، ووضعت أوراق المئة ين، كل ورقة في غلاف ورقي فاخر وكتبت على الغلاف كلمة اعتذار.

ذهبتُ أولًا إلى مقر البلدية. وكان السيد فوجيتا العمدة غائبًا، فسلمتُ الغلاف الورقي إلى فتاة الاستقبال معتذرة لها بالقول:

- أرجو أن تبلغي جانب العمدة أنني أعتذر عما بدر مني بالأمس، وأنني سأحرص مستقبلًا على الحذر والحيطة، وأرجو السماح والمعذرة.

ثم بعد ذلك ذهبتُ إلى بيت السيد أوؤتشي رئيس فرقة الإطفاء، فخرج السيد أوؤتشي لمدخل البيت، وعندما نظر إليّ ابتسم في صمت ابتسامة حزينة، فأصابتني فجأة رغبة بالبكاء لسبب غير معلوم وقلت له بصعوبة:

- أعتذر عن ليلة أمس.

وأسرعت بالإذن منه، وفي الطريق انسابت الدموع، وتلِفت مساحيق وجهي، فعدتُ إلى البيت، وغسلت وجهي في الحمام ووضعت المساحيق مجددًا،

وعندما كنتُ أحاول الخروج من مدخل البيت، وأنا ألبس الحذاء خرجت أمي وقالت:

- هل ستخرجين ثانية؟

فأجبتها دون أن أرفع وجهي:

- أجل. من الآن هو الجزء الأهم.

فقالت بود:

- أقدر لك تعبك.

أمدني حب أمي لي بالقوة الكافية، فاستطعت هذه المرة أن أذهب إلى الجميع دون بكاء.

وعندما ذهبتُ إلى بيت رئيس الحي كان رئيس الحي غائبًا، وخرجت زوجة ابنه، التي بكت على الفور عندما رأتني، وعندما ذهبت إلى شرطي الدورية السيد نينوميا، ظل يقول لي: «حسنًا، حسنًا، لا بأس، لا بأس». كان الجميع طيبي القلب ولطيفين، ثم بعد ذلك درتُ على بيوت الجيران، وكما توقعتُ أخذ الجميع يواسونني ويتعاطفون معي. ولكن ابنة السيد نيشيياما، وعلى الرغم من كونها ابنته فهي سيدة في الأربعين تقريبًا من العمر، هي الوحيدة فقط التي صبت على رأسي لومًا وتقريعًا شديدًا.

- أرجوك أن تنتبهي مستقبلًا. لا أعلم هل أنت من عائلة القصر أو من أي عائلة، ولكنني أنظر منذ زمن بكثير من القلق والرهبة لطريقة حياتكم التي تشبه لعبة التقليد. وكأن طفلتين صغيرتين تعيشان معًا، ومن المعجزة أنه لم يحدث حريق حتى الآن. أرجوك بصدق أن تحذري من هذا الأمر مستقبلًا. فلو كانت الرياح أمس بها بعض القوة لكانت هذه القرية بأكملها قد احترقت.

ومع أن السيد ناكاي المزارع كان يحميني أمام العمدة والسيد نينوميا رئيس فرقة الإطفاء بقوله: «إن الأمر لم يصل حتى إلى درجة حُرَيِقة»، فإن ابنة السيد نيشيياما تلك، ظلت تقول خارج سور الأشجار بصوت عال: «الحمَام كله احترق، والسبب عدم إطفاء نار الفرن».

ولكنني مع ذلك أحسستُ أن تأنيب ابنة السيد نيشيياما هو الحقيقة. فعلًا كما تقول هي بالضبط. ولم أشعر بأية كراهية ولو قليلة تجاهها.

لقد واستني أمي بالقول مازحة: «إن الحطب وُجد ليشتعل»، ولكن لو كانت الرياح فعلًا قوية قليلًا وقتها، فربما كانت هذه القرية قد احترقت بأكملها كما قالت ابنة السيد نيشيياما. وإن حدث ذلك فلن يفيد شيئًا إن مت وأنا أعتذر لهم. وإن متُ فعلى الأرجح لن تستطيع أمي العيش، وسوف يدنس الموت كذلك اسم أبي الراحل. والآن لم نعد من عائلة القصر ولا النبلاء، ولكن، إذا كان من المفترض أن تندثر عائلتنا، فأريد أن تندثر في رقي وعظمة. فإن الموت للتكفير عن إحداث حريق طريقة تجعلني حتى إن مت لا أموت راضية مطمئنة. على أي حال، يجب عليّ أن أحترس وأحذر أكثر وأكثر.

بداية من اليوم التالي، بذلتُ كل جهدي في عمل الحقل. وكانت ابنة السيد ناكاي المزارع تساعدني أحيانًا. بعد ذلك السلوك الشائن بالتسبب في إحداث حريق، شعرتُ أن دمائي أصبحت غامقة قاتمة، وقبل ذلك كانت الأفعى الرقطاء المشاغبة تسكن قلبي، ولكن بعد أن تغير لون دمائي قليلًا بذلك الحدث، وأحسست بأنني على الطريق لأن أصبح فتاة قروية فطرية، فحتى لو جلست مع أمي نصنع الكروشيه على حافة الحديقة، فإنني أشعر باختناق أنفاسي من الملل، وعلى العكس الخروج إلى الحقل وحرث التربة كان أريح لي نفسيًّا.

ليست هذه المرة الأولى التي أعمل فيها مثل هذا العمل اليدوي، تُرى هل هذا هو ما يُسمى العمل البدني؟ فأثناء الحرب ثم استدعائي للخدمة

العامة الإجبارية، إلى درجة أنني أُرغمت على العمل في وظيفة «عامل».
حتى أن حذاء الخيش المبطن بالمطاط الذي أستخدمه الآن عند الدخول والخروج من الحقل هو الذي وزعه علينا الجيش وقتها. وكنتُ وقتها ألبس ذلك الحذاء للمرة الأولى في حياتي، وكان مريحًا في لبسه جدًّا لدرجة تثير الدهشة، وعندما لبسته ومشيت به في الحديقة، شعرت أنني أفهم جيدًا سبب سير الطيور والحيوانات الصغيرة على الأرض حافية، وكنتُ سعيدة جدًّا لدرجة أحسست بوخز في قلبي من الفرح. كان تلك فقط هي الذاكرة الممتعة الوحيدة أثناء الحرب، وعند إعادة التفكير في ذلك نوقن أن الحرب حقًّا في غاية السخافة.

لم يحدث شيء في العام الماضي.
ولم يحدث شيء في العام الذي قبله.
والعام الذي قبل قبله، لم يحدث شيء أيضًا.

لقد نُشر هذا الشعر الممتع في إحدى الجرائد بعد الحرب مباشرة، وعندما أحاول أن أتذكر ذلك الآن، فإنني أحس فعلًا وكأن شيئًا لم يحدث. إنني أكره الحديث أو الاستماع إلى ذكريات الحرب. لقد مات بشر كثيرون، كانت سخيفة ومبتذلة. أم تُرى الأمر مجرد أنانية مني! ولكنني لم أشعر بالسخافة والابتذال في الفترة التي استدعيت فيها للخدمة العامة ولبست حذاء الخيش وكنت خلالها «عاملًا». لقد كنت أشعر بمشاعر مقززة جدًّا، ولكن بفضل ذلك العمل أصبحت حالتي البدنية صحية جدًّا، لدرجة أنني حتى الآن أفكر لو أن الحياة ضاقت بي فيمكنني العيش من ذلك العمل.

لقد جاء إلى بيتنا في حي نيشيكاتا، رجل يرتدي زيًّا يشبه الزي العسكرية في وقت كانت الأوضاع العسكرية في الحرب ميؤوسًا منها، وسلمني ورقة الاستدعاء وورقة بها جدول مواعيد العمل اليومية. وعندما نظرتُ إلى ورقة

مواعيد العمل اليومية، وجدتُ أنني يجب عليَّ البدء في العمل من اليوم التالي والذهاب يومًا بعد يوم إلى منطقة في عمق الجبال بمدينة تاتشيكاوا، فانسابت الدموع الغزيرة من عيني لا إراديًّا.

- ألا يمكن أن يذهب أحدًا بدلًا مني؟

لم تتوقف الدموع وبكيت منتحبة. أجاب ذلك الرجل بحزم:

- جاء الاستدعاء من الجيش باسمك أنتِ، لذا يجب على الشخص المذكور اسمه في الاستدعاء الذهاب.

ولذا قررتُ الذهاب.

كان اليوم التالي يومًا ممطرًا، وجُمعنا عند سفح جبل في تاتشيكاوا، وفي البداية ألقى علينا ضابط خطبة وعظية. قال:

- سننتصر في الحرب بالتأكيد. سننتصر بالتأكيد، ولكن إن لم يعمل الجميع بناءً على أوامر وتعليمات الجيش، ستحدث عقبات وتكون النتيجة مثل ما حدث في أوكيناوا. أريد منكم أن تعملوا فقط ما يُطلب منكم. ربما يدخل هذا الجبل بعض الجواسيس، أرجو منكم الحرص والانتباه من بعضكم بعضًا. ولأنكم جميعًا ستدخلون إلى العمل داخل القواعد العسكرية مثل الجنود، نرجو منكم الحرص وعدم الإبلاغ عن أوضاع القواعد العسكرية لأحد.

كانت الأمطار عالقة في الجبل مثل الدخان، وكان الجمع خليطًا من الرجال والنساء قد بلغ عددهم خمسمئة فرد، يسمعون ذلك الحديث وهم يقفون تحت الأمطار مبللين. وامتزج بين الجمع تلاميذ المدارس الوطنية من أولاد وبنات، وجميعهم كانوا يرتعدون من البرد ووجوههم باكية. تسلل المطر من خلال المعطف الواقي من المطر إلى درجة أن بلل ملابسي العلوية ثم في النهاية بلل ملابسي الداخلية أيضًا.

في ذلك اليوم ولكامل اليوم ظللتُ أحمل أكياس التربة فوق ظهري، وفي قطار العودة لم أستطع منع الدموع من أن تنهمر من عيني، وفي المرة التالية كان العمل في شد الأحبال. وكان هذا العمل بالنسبة لي هو الأكثر متعة.

وأثناء الذهاب إلى الجبل مرتين أو ثلاثًا، أصبح التلاميذ الأولاد في المدارس الوطنية يحدقون فيَّ تحديقًا كريهًا. وفي أحد الأيام، عندما كنتُ أحمل القصعة على كتفي، مر بجانبي اثنان أو ثلاثة أولاد، ثم سمعتُ أحدهم يهمس بصوت منخفض:

- إن هذه المرأة جاسوسة.

فأصابتني الدهشة.

فسألت الفتاة الصغيرة التي تسير بجانبي لتحمل الجانب الآخر من القصعة:

- تُرى لِمَ يقول ذلك؟

فأجابت الفتاة بجدية:

- لأن ملامحك تبدو أجنبية.

- وهل تعتقدين أنت أيضًا أنني جاسوسة؟

ضحكت الفتاة قليلًا هذه المرة ثم قالت:

- كلا.

قلت:

- إنني يابانية.

ولكنني أنا شخصيًا رأيت أن كلمتي تلك غبية ولا منطقية فابتسمتُ في هدوء.

وفي يوم صحو، كنت منذ الصباح أحمل الأخشاب الدائرية مع الرجال، فعبس أحد الضباط الشبان وأشار إليَّ بأصابعه قائلًا:

- أنتِ! أنتِ! تعالِ هنا.

وذهب مسرعًا إلى غابة الصنوبر، فذهبتُ خلفه وقلبي يرتجف من القلق والخوف، كانت هناك أكوام من الألواح الخشبية التي جاءت من مكان تقطيع الأخشاب في عمق الغابة، وصل الضابط حتى تلك الألواح ثم توقف، واستدار للخلف تجاهي وابتسم مظهرًا أسنانه البيضاء وقال:

- إن العمل اليومي أرهقك بالتأكيد. عملك اليوم حراسة هذه الألواح فقط.
- هل أظل واقفة هنا؟
- هنا هدوء والجو معتدل، ويمكنك أخذ قيلولة فوق ذلك الخشب. وإن أصابك الملل يمكنك قراءة هذا.

قال ذلك ثم أخرج من جيب سترته العلوي كتاب جيب، وألقى به فوق ألواح الخشب وهو محرج قليلًا:

- اقرئي هذا الكتاب.

كان الكتاب مكتوبًا عليه «ترويكا». أخذتُ ذلك الكتاب وقلت له:

- أشكرك شكرًا جزيلًا. إن عندي في البيت من يعشق الكتب، ولكنه الآن ذهب إلى الجبهة الجنوبية.

ولكن يبدو أنه سمع ما قلته خطأ، فقال وهو يهز عنقه بحرج:

- حقًّا! إنه زوجك. ولكن الجبهة الجنوبية عصيبة الآن. على كل حال عملك اليوم الحراسة هنا، وسأحضر لك الغداء فيما بعد. وخذي راحتك هنا على مهل.

ثم غادر المكان راحلًا بخطوات سريعة.

جلست على الألواح الخشبية، وقرأت كتاب الجيب، وعندما وصلت إلى منتصفه، جاء ذلك الضابط بخطواته التي تصدر صوتًا كقرع الطبول وقال:

- لقد أحضرتُ لكِ وجبة الغداء. وجودك وحيدة هنا فيه صعوبة، أليس كذلك؟.

ثم وضع وجبة الغداء فوق الحشائش، واستدار للخلف وعاد في عجلة من حيث أتى.

بعد أنهيتُ الوجبة، صعدتُ مرة ثانية فوق الألواح واستلقيت على جانبي أقرأ الكتاب وبعد أن انتهيت منه كله، بدأت في نوم القيلولة. استيقظتُ بعد أن تخطت الساعة الثالثة عصرًا. وفجأة شعرت أنني رأيت ذلك الضابط في مكان ما من قبل، وأخذت أفكر في الأمر ولكنني لم أستطع أن أتذكر. نزلتُ من فوق الألواح الخشبية، وعندما كنتُ أمسح على شعري بيدي، سمعت صوت قرع الحذاء العسكري مرة أخرى:

- حسنًا، نشكر لك تعبك اليوم، انتهى العمل تستطيعين العودة الآن.

فهرعتُ إلى ذلك الضابط ومددتُ له يدي بكتاب الجيب، وفكرتُ أن أشكره، ولكني لم أجد الكلمات المناسبة، ورفعتُ وجهي تجاهه فقط، وعندما تلاقت عيوننا، انهارت الدموع من عيني. وعندها رأيت عيون الضابط أيضًا تلمع من الدموع.

هكذا افترقنا في صمت، ولم يظهر ذلك الضابط الشاب بعدها في مكان عملنا مرة ثانية، استطعت في ذلك اليوم فقط أن أرتاح طوال اليوم، ثم استمر العمل الشاق في جبل تاتشيكاوا يومًا بعد يوم. كانت أمي قلقة دائمًا على حالتي الصحية والبدنية، ولكنني على العكس أصبحت أكثر صحة، وصرت حتى الآن أملك ثقة خفية بنفسي تجاه وظيفة «العامل»، وكذلك أعمال الزراعة في الحقل، فهي لا تشعرني بأية عذاب أو معاناة.

حكيتُ عن تلك «التجربة الثمينة» هذه دون وعي مني رغم أنني أكره التحدث بحديث الحرب أو سماعه، ولكن ربما كان هذا الأمر فقط هو تقريبًا ما أجد رغبة في الحديث عنه وسط ذكرياتي عن الحرب، أمّا ما عداه فمنعدم تمامًا لدرجة الرغبة في ترديد أبيات الشعر السالفة الذكر:

لم يحدث شيء في العام الماضي.

ولم يحدث شيء في العام الذي قبله.

والعام الذي قبل قبله، لم يحدث شيء أيضًا.

كانت الحرب غباءً محضًا، ولم يتبق إلا حلم لم يتحقق، يشبه فردتي حذاء الخيش.

لقد بدأ الحديث من حذاء الخيش، ثم انحرف إلى حديث لا فائدة منه. لبست حذاء الخيش الذي يُعَدُّ الشيءَ الوحيد المتبقي لي من ذكرى الحرب. أخرج كل يوم إلى عمل الحقل، كنتُ أداري القلق والحيرة داخل قلبي، وبدت أمي في تلك الفترة تتجه أكثر وأكثر بخطى حثيثة واضحة للعيان إلى الضعف والذبول.

بيضات الثعبان.

حريق.

في ذلك الوقت، برزت من أمي رائحة المرض. أما أنا فعلى العكس من ذلك، شعرت أنني بدأتُ أتجه تدريجيًّا إلى أن أصبح امرأة تتسم بالفظاظة والسوقية. ولم أكن لأعبأ بشيء إلا أن أمتص من أمي روحها الحية بكميات كبيرة وأسمن بالتدريج.

حتى الحريق، قالت أمي مازحة: «إن الحطب وُجد لكي يشتعل»، ولم تتحدث بعد ذلك عن الحريق بكلمة واحدة، بل على العكس كانت تبدو وكأنها تشفق عليَّ، ولكن ما من شك أن الصدمة التي تلقتها أمي في داخلها أضخم عشرات المرات من الصدمة التي تلقيتها أنا. فمنذ ذلك الحريق، تتأوه أمي في منتصف الليل أثناء نومها، وعندما تكون الرياح قوية في بعض الليالي، تتظاهر بالذهاب إلى دورة المياه، فتخرج من فراشها في منتصف الليل وتدور في أرجاء البيت لتطمئن عليه. ومن قبل قالت إنها تريد أن تساعدني في

أعمال الحقل، فرفضت أنا منها ذلك، ولكنها حملت الماء خمس مرات أو ستًّا من البئر إلى الحقل باستخدام دلو كبير، وفي اليوم التالي قالت إن كتفيها قد تصلبا لدرجة أنها لا تستطيع أن تتنفس، وظلت نائمة في الفراش طوال ذلك اليوم. وبعد حدوث ذلك الأمر، يبدو أنها يئست أخيرًا من المساعدة في عمل الحقل، وحتى إذا خرجت إلى الحقل أحيانًا، فإنها تظل فقط تراقب وتتأمل عملي في الزراعة بثبات ودون حركة.

واليوم بعد أن ظلت أمي تتأمل عملي في الحقل قالت فجأة:

- يُقال إن الشخص الذي يحب زهور الصيف، يموت في الصيف، تُرى هل هذا صحيح؟

التزمتُ الصمت، وواصلت ري الباذنجان بالماء.

فقالت أمي مرة أخرى بهدوء:

- إنني أحب جدًّا زهرة ألبيزيا الحرير، ولكن لا يوجد منها زهرة واحدة في هذه الحديقة.

فقلتُ متعمدة بنبرة متعجرفة:

- ولكن أليس ثمة الكثير من زهور الدفلة؟
- إنني أكره تلك الزهرة. إنني على الأغلب أحب زهور الصيف، ولكن هذه مفرطة الدلال.
- في حالتي أحب الورد. ولكن الورد يتفتح في الفصول الأربعة، فهل يجب على من يحب الوراد إن مات في الربيع أو مات في الصيف أو مات في الخريف أو مات في الشتاء أن يعاود الموت أربع مرات؟

ضحكنا معًا. وقالت أمي وهي تضحك:

- ألا ترتاحين قليلًا؟ اليوم لدي أمر أريد أن أناقشه معك.

- ماذا؟ ولكنني لا أريد سماع أي شيء عن الموت.

ذهبتُ خلف أمي، وجلستُ بجوارها على الدكة أسفل عريشة زهور الوستارية. كان موسم الوستارية قد انتهى، فسقطت أشعة الظهيرة الرقيقة فوق ركبنا متخللة تلك الأوراق، فصبغت ركبنا بلون أخضر.

- أمر كنتُ أريد أن تسمعيه من قبل، وفكرتُ أن أتحدث إليكِ به عندما نكون معًا في حالة مزاجية جيدة، وانتظرت الفرصة حتى اليوم. هو على كل حال ليس حديثًا محببًا. ولكنني أشعر أنني اليوم أستطيع الحديث بطلاقة نوعًا ما، ولذا أرجو منك الصبر وأن تسمعيني إلى نهاية حديثي. في الحقيقة إن ناوجي ما زال على قيد الحياة.

تحجرت أعضاء جسمي.

- منذ خمسة أيام أو ستة جاء خطاب من خالك وادا. عاد أحد الأشخاص مؤخرًا من الجبهة الجنوبية، وكان موظفًا سابقًا في شركة خالك، وذهب إلى خالك لإلقاء تحية العودة عليه، وفي نهاية حديث تطرق إلى موضوعات شتى، قال ذلك الرجل وقتها: «إن الصدفة جمعته مع ناوجي في الكتيبة نفسها»، وعرفت منه أن ناوجي بصحة جيدة، وأنه على وشك العودة للوطن قريبًا. ولكن ثمة أمر كريه في الموضوع. فطبقًا لحديث ذلك الشخص يبدو أن ناوجي أصبح مدمنًا للأفيون إدمانًا شنيعًا...

- مرة أخرى!

عوجتُ فمي وكأني أبتلع طعامًا في منتهى المرارة. عندما كان ناوجي طالبًا في المدرسة الثانوية وتقليدًا لكاتب شهير، أصبح على وشك أن يدمن المخدرات، ومن أجل ذلك أصبح مدينًا للصيدلي بمبلغ مرعب، واستغرق الأمر من أمي عامين كاملين لكي تسدد ذلك الدين.

- أجل يبدو أنه بدأ الإدمان مرة ثانية. ولكن سمعتُ أن ذلك الشخص ذكر أن من الأرجح أن لن يُسمح له بالعودة إلى الوطن ما لم يُشْفَ من الإدمان، ولذا لن يعود قبل أن يكون قد عُولج من إدمانه. وقال خالك في خطابه: «إن من الصعب أن يتوظف على الفور في مكان ما، حتى وإن عاد بعد العلاج، لأن الشخص في تلك الحالة يكون لديه قلق نفسي»، وقال أيضًا: «إن الشخص السليم الرزين الذي يعمل في طوكيو -في مثل الفوضى الحالية- معرض للإصابة بلوثة عقلية، ناهيك عن شخص شُفي من إدمان لتوه وما زال شبه مريض، فربما يصبح مجنونًا ولا يمكن تخمين ماذا يفعل؟ ولذا إن عاد ناوجي فيجب أن يبقى في بيت إيزو الجبلي وأن نحرص على منعه من الخروج إلى أي مكان، ومن الأفضل جعله في فترة نقاهة طويلة، هذا أمر. أما الأمر الآخر، فاسمعي يا كازوكو، لقد أضاف خالك شيئًا آخر في الخطاب. على حسب ما قاله خالك، لقد نفد ما لدينا من أموال. قال خالك إنه بسبب تجميد المدخرات أو ربما بسبب ضرائب الميراث، لا أعرف، فقد أصبح غير قادر على إرسال أموال لنا كما كان يفعل حتى الآن. وقال إنه عندما يعود ناوجي، إن سكننا نحن الثلاثة أنا وأنت وناوجي هنا كما نحن، فسوف يعاني خالك من تدبير مصاريف إعاشتنا. فيجب من الآن علينا إما البحث عن زوج لكازوكو، أو البحث عن بيت للخدمة العامة، وطلب مني الاختيار من بين هذين الحلين.
- الخدمة العامة؟ هل يقصد خادمة؟
- كلا، خالك يقصد مثل الذي في منطقة كومابا.

وذكرت اسم أحد أمراء القصر.

- يقول خالك إن هذا الأمير، قريب لنا قرابة دم، لو أنك يا كازوكو تذهبين للخدمة العامة في قصره على اعتبار أنك مدرسة خصوصية لابنته الأميرة، فلن تشعرين بالملل ولا الوحدة.
- أما من مكان آخر يمكنني العمل به؟
- قال خالك إنك من الصعب عليك العمل في أية وظيفة أخرى.
- صعب لِمَ؟ أخبريني ما الصعب في العمل؟

ابتسمت أمي ابتسامة موحشة، ولم تجب على سؤالي.

- أنا أكره هذا الحديث.

فكرتُ أنني قلت ما لا يجب أن يُقال. ولكنني لم أتوقف، وعندما قلتُ: «إنني أستطيع بحذاء الخيش هذا، بحذاء الخيش هذا...» نزلت دموعي وبدأت فجأة في البكاء بنحيب عال. ورفعتُ وجهي وأنا أمسح دموعي براحة يدي، أنظر إلى أمي وأنا أشعر بخطأ ما أفعله إلا أن الكلمات استمرت متوالية وكأنها تخرج من فمي دون وعي مني وكأنها ليست ذات علاقة بجسدي:

- ألم تقولي من قبل: لأن كازوكو بجانبي، سأذهب إلى إيزو ما دامت كازوكو بجانبي. ألم تقولي: إنني سأموت لو لم تكن كازوكو بجانبي؟ ولذلك، وبسبب ذلك، لم تذهب كازوكو إلى أي مكان وبقيت بجانبك يا أمي، وبقيت بهذا الحال ألبس حذاء الخيش، ولا أفكر إلا في إعطائك خضروات طيبة الطعم، ولكن عندما سمعتي أن ناوجي سوف يعود، أصبحتُ أنا عقبة فجأة، فقلت اذهبي خادمة في بيت الأمير، هذا أمر شنيع، أمر لا يحتمل.

فكرتُ في أن أنطق بكلمات فظيعة، ولكن الكلمات لم تتوقف وكأنها كائن حي.

- إن أصبحنا فقراء، ولا نملك أموالًا، أليس من الأفضل بيع ملابس الكيمونو التي نملكها؟ أليس من الأفضل أن نبيع هذا البيت أيضًا؟ إنني أستطيع عمل أي شيء؟ إنني أستطيع أن أعمل موظفة إدارية في بلدية هذه القرية، أو أقوم بأي عمل آخر. وإن لم تقبل بي البلدية، فإنني أستطيع حتى أن أكون «عاملًا». إنني لا أبالي بالفقر مطلقًا. مع أنني كنتُ أفكر أن أظل طوال عمري بجوارك يا أمي لو كنتِ فقط تشفقين عليَّ، ولكنك يا أمي تحبين ناوجي أكثر مني. سأخرج من البيت. سأترك لك البيت وأرحل. لأن شخصيتي في الأساس لا تتلاءم مع شخصية ناوجي، فإذا عشنا نحن الثلاثة معًا فسيتعس كل منا الآخر. لقد عشت معك يا أمي بمفردنا لوقت طويل حتى الآن، فلا داعي لأي ندم. من الآن عيشي أنت وناوجي بلا شريك ولا عائق، وسيبدأ ناوجي في البر بك تدريجيًّا. أنا بالفعل أصبحتُ أكره هذا الوضع. لقد أصبحت أكره حياتي تلك. سأرحل اليوم، بل الآن سأرحل على الفور. فأنا أملك المكان الذي يمكنني أن أذهب إليه.

ثم نهضتُ واقفة. فقالت أمي بصرامة:

- كازوكو.

ثم وقفتْ وعلى وجهها ملامح مهيبة وصارمة لم تُظهرها لي من قبل، وتوجهت نحوي وبدت قامتها أطول مني قليلًا.

كنتُ أريد أن أعتذر على الفور قائلة: «آسفة»، ولكن لساني لم يستطع النطق بها، وعلى العكس خرجت منه كلمة مختلفة.

- لقد خدعتِنني. أنتِ يا أمي من خدعتِنني. استغللتِنني حتى يأتي ناوجي. لقد كنتُ خادمتك يا أمي. وعندما انتفت الحاجة لي، تقولين اذهبي لتعملي خادمة في بيت الأمير.

صرختُ بالنحيب وأخذتُ أبكي بكل ما في طاقتي وأنا واقفة كما أنا.

ارتعش صوت أمي بالغضب وهي تقول بصوت خفيض:

- يا لك من حمقاء!

رفعتُ وجهي وواصلت قول الحماقة التي لا أصل لها ولا فصل:

- أجل أنا حمقاء. حمقاء ولذلك خُدعت. حمقاء ولذلك أعامل كعقبة. وعدم وجودي أفضل، أليس كذلك؟ فقر! ماذا يعني الفقر؟ النقود! ماذا تعني النقود؟ إنني لا أفهم أيًّا منها. إنني عشتُ حياتي حتى الآن أؤمن بالحب، حبك يا أمي، الحب فقط.

فجأة أدارت أمي وجهها عني. إنها تبكي! أسرعت بالقول: «أنا آسفة» وفكرت أن أحضنها، ولكن كانت يداي متسختين من العمل في الحقل، فكنتُ متحيرة فيما أفعل وأنا أهتم لذلك، فقلت سريعًا:

- سينصلح الحال لو رحلتُ أنا فقط، أليس كذلك؟ سأرحل. فأنا لدي المكان الذي أذهب إليه.

ثم أسرعتُ بالجري تجاه الحمام وغسلت يدي ووجهي وأنا منهارة من البكاء، ثم ذهبتُ إلى غرفتي، وأثناء تبديلي لملابسي صرخت باكية بصوت عال، وأصبحت أرغب في البكاء أكثر وأكثر. فركضتُ إلى الغرفة الغربية بالطابق الثاني، وألقيتُ بجسمي فوق السرير، وغطيتُ رأسي بالبطانية، وبكيتُ بشدة إلى درجة النحافة[1]، وأثناء ذلك أحسست وكأنني قد فقدتُ الوعي، أحسستُ تدريجيًّا بمشاعر ذات طبيعة خاصة جدًّا، فبدأتُ أشتاق له اشتياقًا لا أستطيع احتماله، أشتاق إلى أن أنظر إلى وجهه، وأسمع صوته، وكأنني وضعتُ بخورًا ساخنًا على بطن قدميّ الاثنتين وأنا أحتمل لهيبه بصبر.

---

(1) من الأقوال الشائعة في اليابان: إن البكاء الشديد يسبب النحافة، فتقول البطلة إنها بكيت لتلك الدرجة التي تجعل الباكي ينحف / المترجم.

قُرب المساء، دخلت أمي بهدوء إلى الغرفة الغربية في الطابق الثاني، وأضاءت مصباح الكهرباء، وبعد ذلك اقتربت من السرير ونادت عليَّ بصوت في منتهى الحنان قائلة:

- كازوكو.

- نعم.

نهضتُ وجلستُ على السرير، ورفعتُ شعري بكلتا يديَّ، ونظرتُ إلى وجه أمي وضحكتُ بصوت عال.

ضحكتْ أمي كذلك ضحكة خفيفة، ثم غاصت بجسمها على الأريكة التي تحت النافذة وقالت:

- لأول مرة في حياتي أرفض طلبًا لخالك وادا. لقد كتبتُ الرد إلى خالك في رسالة الآن. كتبتُ له: «أرجوك دع أمر أبنائي لي». كازوكو، دعينا نبيع ما لدينا من كيمونو. هيا بنا نبيع ما لدينا نحن الاثنتين من كيمونو واحدًا بعد آخر، ونستخدم تلك الأموال قدر طاقتنا ونعيش حياة مرفهة. إنني لا أريد أن أجعلك تعملين في الحقل بعد الآن. ما المانع إن اشترينا خضراوات غالية؟ إن من الصعب عليك مواصلة العمل في الحقل كل يوم بتلك الطريقة.

وفي الواقع أن العمل في الحقل كان قد بدأ يصبح شاقًّا قليلًا بالنسبة لي. وحتى صخبي بالبكاء منذ قليل كأنني مجنونة كان خليطًا من الحزن والإرهاق من عمل الحقل، لقد أصبح أي شيء وكل شيء في نظري كريهًا وباعثًا على الضغينة.

التزمتُ الصمت بينما أنام على بطني فوق السرير.

- كازوكو.

- نعم.

- ماذا تقصدين بأن ثمة مكان يأويكِ؟ أين هو؟

أحسست كأن بشرتي قد توردت حتى مؤخرة عنقي.

- السيد هوسودا؟

ظللتُ صامتة.

تنهّدت أمي تنهيدة عميقة ثم قالت:

- هل يمكن أن أتحدث عن أمر حدث في الماضي؟

قلتُ بصوت منخفض جدًّا:

- تفضلي.

- عندما خرجتِ من بيت عائلة ياماكي، ورجعتِ إلى بيتنا في حي نيشيكاتا، كانت نيتي عدم التعرض لك بأي توبيخ أو عتاب، وبقي أمر واحد فقط، لقد قلتُ لك (إنك خُنتِ أمك). هل تتذكرين ذلك؟ عندها انفجرتِ في البكاء... حتى أنني عرفت بعدها أنني أخطأتُ باستخدام كلمة الخيانة، تلك الكلمة الفظيعة ...

ولكنني كنتُ وقتها أبكي من الفرحة ممتنة أن أمي قالت لي ذلك.

- إن سبب قولي إنك خُنتني وقتها لم يكن لأنك تركتِ بيت عائلة ياماكي. ولكن بسبب أنني سمعت من السيد ياماكي أنك على علاقة حب مع السيد هوسودا. عندما قيل لي ذلك، أحسست حقًّا بأن وجهي قد صار شاحبًا. أجل فالسيد هوسودا لديه زوجة وأطفال منذ وقت طويل قبل ذلك، ومهما شعرتِ تجاهه بالحب والود، فلن يكون لذلك نتيجة...

- علاقة حب! يا لها من سبة مهينة! إنها مجرد إساءة ظن من السيد ياماكي فقط يا أمي.

- هل هذا هو الأمر حقًّا؟ أما زلت حتى الآن تكنين عاطفة ما تجاه السيد هوسودا حتى الآن؟ مكان تذهبين إليه؟ أين ذلك المكان؟

- لم أكن أعني بيت السيد هوسودا مطلقًا.

- حقًّا؟ إذن أين؟

- إنه أمر فكرتُ فيه منذ مدة يا أمي، تُرى ما الأمر الذي يختلف فيه البشر عن الحيوانات اختلافًا تامًّا؟ حتى وإن كان ثمة فرق في كل من اللغة والحكمة والتفكير والنظام الاجتماعي كلٍّ على حدة. ألا تمتلك باقي الحيوانات كل ذلك؟ بل ربما تمتلك الإيمان والدين. إن الإنسان يغتر بأنه الكائن الأكثر ذكاءً وتطورًا بين جميع الكائنات، ولكن ألا يبدو أنه لا فرق جوهريًّا بينه وبين باقي الحيوانات؟ ثمة شيء واحد فقط يا أمي. ألا تعرفينه؟ شيء يستحيل أن تملكه باقي الحيوانات ويملكه الإنسان فقط. إنه ما يُطلق عليه الأسرار. فما رأيك؟

توردت خدود أمي قليلًا وضحكت في جمال وقالت:

- آه، يا ليت أسرار كازوكو تلك تصل إلى نتيجة. إنني صليت هذا الصباح إلى والدك لأطلب منه أن يجعلك سعيدة.

خطر على صدري فجأة مناظر السهول البرية في فصل الخريف في منطقة ناسونو عندما كنتُ في نزهة بالسيارة مع أبي ونزلنا في منتصف الطريقة. وتفتحت زهور النباتات البرية مثل الجينطايا ونبات الرباط الذهبية والقرنفل والليسبيديزا اليابانية. وكانت ثمار العنب البري ما زالت خضراء.

ركبتُ بعد ذلك مع أبي مركبًا بمحرك في بحيرة بيوا، وقفزتُ في الماء، تنعكس ظلال قدمي بوضوح في قاع البحيرة وتتحرك الأسماك الصغيرة التي تسكن وسط الطحالب عند قدمي، لقد ظهرت تلك المناظر في صدري بدون أي اتساق بينها ثم اختفت.

زحفتُ على السرير لأنزل من عليه، ثم حضنتُ ركبتيْ أمي، ولأول مرة أستطيع الاعتذار لها قائلة:

- أعتذر عما حدث مني منذ قليل.

وعندما فكرتُ، كان ذلك اليوم هو الوقت الذي تألقت فيه النيران المتبقية الأخيرة من سعادتنا، وبعده عاد ناوجي من الجبهة الجنوبية، وبدأت حقًّا حياتنا في الجحيم.

الفصل الثالث

قلق رهيب لا يمكن تحمله أو تحمل الحياة معه مطلقًا، قلق -أو ربما عاطفة- يجعل موجات المعاناة تقترب من الصدر، وكأنه بالضبط غيومٌ بِيضٌ تمر سريعًا واحدة بعد أخرى في السماء بعد انتهاء سقوط وابل شديد من الأمطار. يختنق قلبي ويسترخي، يضطرب نبض القلب، يضعف التنفس، تظلم الدنيا أمام عيني وتصبح مغبشة، شعرت أن كل قوى الجسم تسربت فجأة من أنامل القدم، فلم أستطع الاستمرار في عمل الكروشيه.

وفي ذلك الوقت استمرت الأمطار تهطل في كآبة، إلى درجة أنني عند القيام بفعل أي شيء أشعر بسوداوية، واليوم حملت الكرسي الخيزران إلى الجزء المطل على حافة الحديقة. أصبحتْ عندي رغبة في محاولة استئناف العمل في صناعة سترة بالكروشيه، وكنت بدأتها في ربيع هذا العام وتركتها كما هي. كنتُ أنوي عمل سترة بإضافة صوف بلون أزرق داكن يشبه الضباب بلون وردي فاتح يشبه زهرة الفاوانيا. كانت أمي قد صنعت لفاعًا لي منذ حوالي عشرين عامًا عندما كنتُ طالبة في المدرسة الابتدائية من صوف بلون وردي فاتح يشبه زهرة الفاوانيا. كان طرف ذلك اللفاع عبارة عن قبعة، وعندما وضعتها على رأسي ونظرت إليها في المرآة، بدوتُ وكأنني جنية صغيرة. وعلاوة على ذلك كان اللون مختلفًا تمامًا عن ألوان ألفعة زملائي في المدرسة فكنتُ لا أحتمل كراهيتي الشديدة له. مدحتني زميلة كانت ابنة عائلة من كبار دافعي الضرائب في منطقة كانساي، بنبرة صوت مثل البالغين قائلة: «يا له من لفاع جيد»، ولكنني في النهاية خجلت منه ومنذ ذلك الوقت لم

أضع ذلك اللفاع على عنقي مرة أخرى، وظل مهملًا في البيت لمدة طويلة. ولكنني أخرجت هذا اللفاع في فصل الربيع هذا العام، وبأحد معاني إحياء المنتجات المهملة، فكرتُ أن أُفكَّهُ وأصنع منه سترة لي، فبدأت في ذلك، ولكن لم يرق لي ذلك اللون الباهت مهما فعلت، فأهملته مرة أخرى، واليوم لم أجد شيئًا آخر أفعله فأخرجته فجأة وحاولت أن أُكمل عمل الكروشيه في تكاسل. ولكنني أثناء عمل الكروشيه تنبهتُ إلى أنني استطعتُ إخراج توافق لوني معتدل ورقيق بدرجة لا تُوصف من خلال مزج ذلك الصوف باللون الوردي الخافت لزهرة الفاوانيا مع الصوف الرمادي للسماء الممطرة معًا. لم أكن أعرف، لم أكن أعرف أنه من الأهمية بمكان عند صنع الملابس أن أفكر في التوافق مع لون السماء. كان الشكل العام لي هو التعجب والانبهار من التوافق! يا له من أمر رائع جميل! الأمر العجيب أنه عند مزج لون السماء الممطرة الرمادي مع لون الصوف الذي يشبه زهرة الفاوانيا الباهت، يصير كلاهما في الوقت نفسه لونًا حيويًّا زاهيًا. أصبح الصوف الذي أحمله في يدي دافئًا دفئًا خافتًا وشعرت أن السماء الممطرة الباردة رقيقة ولينة مثل القطيفة. ثم جعلتني أتذكر لوحة مونيه «كاتدرائية ڤيتوي في الضباب» أحسستُ أنني لأول مرة أُعرّف بما يُسمى (غاو) «goût»[1] من خلال لون ذلك الصوف. وتعني الذوق الجيد. غير أن أمي مع علمها التام بدرجة توافق سماء الشتاء الجليدية في جمال مع لون الفاوانيا الباهت، ولذا اختارته خصيصًا لي، فإنها لم تحاول أن ترغمني عليه وأنا طفلة عندما كرهته بسبب غبائي، وتركتني أفعل ما يحلو لي. إنها الأم التي تنتظر صامتة متظاهرة بالجهل لا تشرح لي ولو بكلمة واحدة شيئًا عن ذلك اللون لمدة عشرين عامًا حتى فهمتُ أنا حقًّا جمال ذلك اللون بنفسي. وفي الوقت نفسه الذي شعرتُ فيه من كل قلبي أنها

---

(1) كلمة فرنسية تعني الطَّعْم أو الذوق الجيد / المترجم.

أم مثالية، عندما فكرتُ أن كلًّا منا أنا وناوجي نعذبها ونتنمر عليها ونسبب لها الأزمات والضعف وسوف نتسبب في موتها العاجل، نبعت فجأة في قلبي غيوم القلق والخوف بدرجة لا تحتمل، وكلما فكرتُ وفكرتُ في هذا وذاك، لا أتوقع في المستقبل القريب إلا كل ما هو مخيف وسيئ، ووقعت في حالة قلق عظيمة تجعلني لا أستطيع مواصلة العيش بأي حال، حتى أن القوة تهرب من أناملي، فوضعت إبرة التريكو فوق ركبتي وتنهدتُ تنهيدة عميقة، ورفعت وجهي لأعلى وأغمضتُ عيني وقلت دون وعي:

- أمي.

أجابتني أمي التي كانت تقرأ في كتاب وهي تستند على المكتب الذي في ركن الغرفة في قلق:

- ماذا؟

وقعتُ في حيرة ثم قلت بصوت أعلى:

- لقد تفتح الورد أخيرًا. هل كنتِ تعلمين ذلك يا أمي؟ لقد لاحظتُ ذلك الآن. لقد تفتح أخيرًا.

إنه الورد الذي أمام حافة الحديقة مباشرة. جلب خالي وادا ذلك الورد من إنجلترا أو من فرنسا لا أتذكر بالضبط، ولكنه على أي حال أحضره معه عند عودته للوطن من بلد بعيد جدًّا، ورد زرعه خالي بنفسه في حديقة هذا البيت الجبلي منذ شهرين أو ثلاثة أشهر. كنتُ أعرف بالفعل أن إحداها تفتحت كما ينبغي هذا الصباح، ولكنني أظهرت أنني اكتشفتُ ذلك الآن وقلت ذلك بمبالغة وصخب متعمدين. كان لون الورد بنفسجيًّا داكنًا، وذات قوة وعزة نفس هادئة.

قال أمي في هدوء:

- كنتُ أعرف. يبدو هذا الأمر هامًّا جدًّا بالنسبة لك أنت، أليس كذلك؟

- ربما كان كذلك. هل تشفقين علي؟

- كلا، بل مجرد أنني أقول إن بك تلك الصفة فقط. تلصقين لوحات رينوار على علب الثقاب في المطبخ، وتجربين صناعة منديل للدمية، أنت تحبين مثل هذه الأمور. وحتى ورد الحديقة هذا، عندما أسمعك تتحدثين عنه، تبدين وكأنك تتحدثين عن إنسان حي.

- لأنني ليس لدي أطفال.

خرجت من فمي تلك الكلمة التي لم أتوقعها أنا نفسي مطلقًا. بعد أن قلتها، ارتحت نفسيًا، وفي الوقت الذي كنتُ أعبث فيه بإبرتي التريكو فوق ركبتي وأنا أشعر بالحياء، سمعتُ صوتًا رجاليًا يقول:

- ... آه، لأنك في التاسعة والعشرين من العمر.

شعرتُ أنني سمعتُ بوضوح صوتًا جهيرًا يدغدغ المشاعر وكأنه يُسمع من سماعة الهاتف، اشتعل خداي من الخجل وكأنهما قطعة نار.

لم تقل أمي شيئًا، وعادت لتقرأ في الكتاب مرة ثانية. كانت أمي قد وضعت منذ مدة قناعًا من الشاش، وربما بسبب ذلك، أصبحتْ في تلك الأثناء صموتة بدرجة ملحوظة جدًا. لقد بدأت في وضع ذلك القناع اتباعًا لنصيحة من ناوجي، وكان ناوجي قد عاد منذ عشرة أيام تقريبًا من الجزر الجنوبية بوجه أسود شاحب.

بلا أية مقدمات، جاء داخلًا إلى حديقة البيت من الباب الخشبي الخلفي في مساء صيفي.

- أواه، فظيع! بيت فاسد الذوق. أرجوكم علقوا لافتة عليه بعنوان: راي رايكِن[1] نقدم وجبات الشومين الصينية اللذيذة.

---

(1) راي رايكِن: اسم مطعم شهير للرامن والوجبات الصينية مثل الغيوزا والشومين، ما زال له أفرع حتى الآن، ويُقال إنه ربما يكون أول مطعم للرامن في اليابان، يسخر ناوجي من الطراز الخارجي للبيت الذي يشبه البيوت الصينية ومن ثم من المطاعم الصينية / المترجم.

كانت تلك هي تحية ناوجي لي عندما رأى وجهي للمرة الأولى.

كانت أمي قبل يومين أو ثلاثة أيام من عودته راقدة بسبب ألم في لسانها. كانت تقول إن طرف لسانها رغم أن مظهره الخارجي ليس به أي تغيير، إلا أنها كانت تتألم عندما تحركه، واقتصرت وجباتها على حساء أرز خفيف، وحتى عندما قلتُ لها ما رأيك في الذهاب إلى الطبيب؟ هزت رأسها بالنفي وقالت وهي تضحك ضحكة مريرة:

- سأكون أضحوكة.

دهنت لها شيئًا من اليود المائي ولكن يبدو أنه لم يكن له أية فاعلية أو تأثير، فأصبحت في حالة عصبية إلى حد ما.

في ذلك الوقت عاد ناوجي إلى البيت.

جلس ناوجي بجوار وسادة أمي، وقال لها: «لقد عدتُ يا أمي» وانحنى أمامها، ثم وقف على الفور، وأخذ يدور بنظره هنا وهناك داخل البيت الصغير، ومشيتُ خلفه قائلة:

- ما رأيك؟ هل تغيرت أُمُّنا.

- تغيرت، تغيرت. لقد نحلت وضعف جسمها. من الأفضل أن تموت سريعًا. فأمنا لا تحتمل مطلقًا العيش في هذا العالم. ستكون بائسة بدرجة لا أحتمل رؤيتها.

- وأنا؟

- بدأت تصبحين جلفة. أصبحتِ ذات وجه وكأن لك عشيقين أو ثلاثة عشاق من الرجال. هل لديكم خمر؟ سأشرب الليلة حتى الثمالة.

ذهبتُ إلى النُزُل الوحيد في هذه القرية، وجربت أن أطلب من المالكة السيدة أوساكي بقولي: «إن أخي عاد للبيت، أرجوكِ أن تعطي لنا قليلًا من الخمر»، فقالت إنها تأسف أسفًا شديدًا فقد نفدت كمية الخمر

التي بحوزتهم، وعندما عدتُ وأخبرتُ ناوجي بذلك، أصبحت ملامح وجهه كأنه رجل غريب لم أره من قبل، وقال يحدث ذلك لأنك غير ماهرة في التفاوض، وسألني عن مكان النُزُل ولَبِسَ قبقاب الحديقة، وقفز خارجًا من البيت، ومن وقتها لم يعد إلى البيت مع طول انتظاري. لقد أعددت وجبة من البيض والتفاح المشوي الذي يحبه ناوجي، وبدلت بلمبة غرفة السفرة أخرى أكثر إضاءة، وانتظرته لوقت طويل، وفي أثناء ذلك ظهرت السيدة أوساكي من باب المطبخ قائلة:

- مساء الخير، هل هو على ما يرام؟ إنه يُكثر من شرب خمر الشوتشو.

قالت ذلك بصوت منخفض وكأنها تبوح بسر عظيم وهي تفتح عينيها التي تشبه عيون سمك الشبوط دائرية الشكل لتجعلها أكثر كبرًا.

- ماذا تقصدين بخمر الشوتشو؟ أهو الميثيل؟
- كلا ليس الميثيل.
- ولكنه لن يمرض بسبب شربه، أليس كذلك؟
- بلى، ولكن ...
- من فضلك دعيه يشرب.

أومأت السيدة أوساكي ثم عادت إلى النُزُل وهي تبلع ريقها.

ذهبتُ أنا إلى غرفة أمي وقلتُ لها:

- إنه يشرب الخمر عند السيدة أوساكي.

فضحكت أمي وهي تعوج فمها قليلًا وقالت:

- أجل. تُرى هل توقف عن الأفيون؟ تناولي أنتِ طعامك. ثم بعد ذلك ننام نحن الثلاثة معًا في هذه الغرفة، ونجعل فراش ناوكي في المنتصف بيننا.

شعرتُ برغبة في البكاء.

عاد ناوجي في وقت متأخر من الليل محدثًا جلبة وأصواتًا عالية. ونمنا في الغرفة نفسها نحن الثلاثة داخل ناموسية واحدة.

وعندما قلتُ وأنا نائمة كما أنا:

- ما رأيك أن تحكي لأمنا عن الجبهة الجنوبية؟

- لا شيء يُحكى. لا شيء البتة. نسيتُ كل شيء. وصلتُ إلى اليابان وركبتُ القطار. ومن نافذة القطار، رأيت حقول الأرز في منتهى الروعة والجمال. هذا فقط. أطفئي النور! لا يمكنني النوم هكذا.

أطفأتُ النور، ففاض ضوء القمر الصيفي داخل الناموسية مثل طوفان.

في الصباح التالي، كان ناوجي راقدًا على بطنه في الفراش يتأمل البحر البعيد وهو يدخن سيجارة، وقال بنبرة سؤال وكأنه قد انتبه لتوه إلى سوء الحالة الصحية لأمنا لأول مرة:

- هل يؤلمك لسانك؟

ضحكت أمي مرة ثانية ضحكة خفيفة.

- من المؤكد أن ذلك بسبب نفسي. أنك تنامين ليلًا وفمك مفتوح، أليس كذلك؟ هذا غير جيد. ضعي قناعًا. يُفضل أن تبللي الشاش بمطهر ريڤانول السائل ثم تضعينه داخل القناع.

عندما سمعتُ ذلك انفجرت فيه:

- وما اسم طريقة العلاج هذه؟

- تُسمى طريقة علاج علم الجمال.

- ولكن من المؤكد أن أمي تكره الأقنعة.

إن الأمر لا يقتصر على الأقنعة فقط بل يُفترض أن أمي تكره بشدة أيضًا عصابة العيون والنظارات وأي شيء يوضع على الوجه.

وعندما سألتها:

- أمي! هل تضعين قناعًا؟

ولكنني تفاجأت عندما أجابت بجدية وبصوت خفيض:

- أجل، أضع.

يبدو أنها تفكر في إطاعة أي شيء يقوله ناوجي مؤمنة بما يقول.

بعد وجبة الإفطار، صنعتُ قناعًا كما قال ناوجي منذ قليل من خلال غمر قطعة من الشاش في مطهر ريڤانول السائل، وأحضرته إلى حيث ترقد أمي، فأخذته أمي في صمت، وضبطت رباط القناع على الأذنين من الناحيتين وهي نائمة كما هي، وكانت تفعل ذلك وكأنها بحق طفلة صغيرة مما أصابني بالحزن.

بعد الظهيرة، قال ناوجي إنه يجب عليه أن يقابل أصدقاءه وأستاذه في الأدب في طوكيو، فارتدى بدلة وأخذ من أمي ألفي ين وخرج ذاهبًا إلى طوكيو. ثم بعد ذلك، مر ما يقرب من عشرة أيام، ولم يعد ناوجي حتى الآن. كانت أمي تضع القناع كل يوم، وتنتظر عودة ناوجي.

- إن ريڤانول هذا دواء جيد. عندما أضع هذا القناع تختفي آلام اللسان.

قالت ذلك وهي تضحك، ولكنني كنتُ أعتقد أن أمي تكذب في ذلك. قالت: «أنا بخير»، وهي الآن تنهض من الفراش، ولكن يبدو أن شهيتها ما زالت منعدمة كما هي، وقل كلامها بوضوح، وذلك أقلقني جدًّا. تُرى ماذا يفعل ناوجي في طوكيو؟ كلما فكرتُ أنه يتجول في أنحاء طوكيو لاهيًا مع ذلك الروائي المسمى أويهارا، أعاني من الألم بعنف، وعندما أخبرت أمي فجأة بأمر الورد، ثم أجبتُ برد لم أكن أتوقعه وهو «لأنني ليس لدي أطفال» وأخيرًا لم أعد أحتمل فقلتُ:

- آه.

ونهضتُ واقفة، ولكن لم يكن ثمة مكان أذهب إليه، وزاد ثقل جسدي عليَّ فصعدتُ درجات السلالم وأنا أترنح، ودخلت الغرفة الغربية في الطابق الثاني.

يُفترض أن تكون هذه غرفة ناوجي الجديدة، وقبل أربعة أو خمسة أيام تناقشتُ مع أمي، وطلبتُ مساعدة السيد ناكاي المزارع، وحملنا إلى هنا كل ما كان في غرفة ناوجي في بيت نيشيكاتا القديمة، مثل خزانة ملابس ناوجي الغربية ومكتبه وصناديق الكتب وكذلك خمسة أو ستة صناديق خشبية تمتلئ عن آخرها بخزين كتبه وكراساته، وتركت الخزانة والصناديق الخشبية، وأنا أفكر أن من الأفضل تركها كما هي في حالة العشوائية تلك بجانب بعضها بعضًا حتى إذا عاد ناوجي من طوكيو أمكنه أن يضعها في المكان الذي يحبه، وكانت مبعثرة في كامل الغرفة لدرجة أنه لم يكن هناك موضع لقدم في الغرفة، فأمسكتُ بدون قصد إحدى الكراسات من الصندوق الذي عند موضع قدمي ونظرتُ فيها، وقد كُتب على غلاف تلك الكراسة:

يوميات ست الحسن.

وتمتلئ بما يلي مبعثرًا بها. على ما يبدو أنها يوميات وقت أن كان ناوجي يعاني من إدمان المخدرات.

شعور الموت حرقًا. حتى وإن تألمت، فلا أستطيع الصراخ بكلمة ألم واحدة، أو نصف جملة. لا يمكن أن يخدعني مطلقًا ذلك الجحيم الذي لا قاع له، ذلك الذي ليس له مثيل منذ قديم الزمان ولم يسبق له وجود منذ بداية هذا العالم الإنساني.

الفكر؟ كذب. النظريات؟ كذب. المثالية؟ كذب. النظام؟ كذب. الإخلاص؟ الحقيقة؟ النقاء؟ كل ذلك كذب. إنهم يمدحون شجرة وستاريا أوشيجيما بأن عمرها ألف عام، وشجرة وستاريا

يويا بأن عمرها مئات الأعوام، إن قلبي يرقص فرحًا فقط عندما أسمع أن أطول زهور مثل تلك الأشجار الأولى يصل إلى تسعة أقدام والأخيرة إلى خمسة أقدام.

إنها أيضًا ابنة الإنسان. حية وتعيش.

إن المنطق في الأصل، هو حب تجاه المنطق. ليس حبًّا تجاه البشر الأحياء.

المال والمرأة. يخجل المنطق ويرحل في عجل.

تجربة الدكتور فاوست الشُّجاعة لإثبات أن ابتسامة عذراء واحدة أثمن من كل العلوم مثل التاريخ والفلسفة والتعليم والأديان والقانون والسياسة والاقتصاد والاجتماع.

العلوم هي الاسم الآخر للعدم. إنها الجهد الذي يبذله الإنسان من أجل أن يصبح لا إنسانيًّا.

أقسم أنني أستطيع أن أقول لـ«غوته» إنني أستطيع أن أكتب بمهارة أي شيء. بدون أن أخطئ في تركيبة القصة مطلقًا، من حيث الفكاهة المناسبة، أو الحزن الحارق لعيون القراء، أو المهابة، أو ما يُسمى بالرهبة الموقرة. الرواية الكاملة بلا عيب، التي لا أستطيع أن أكتبها خجلًا من أن تُقرأ بصوت عال، أي أن يُكتب لها شرحٌ على الشاشة. قاعدة أساسية: يجب القول إن الرغبة في تأليف تحفة أدبية أمر سخيف ورخيص. المجنون فقط هو من يقرأ رواية بمهابة! بدلًا من ذلك، الأحرى أن يقرأ بملابس العزاء مثل معطف الهاكاما. تكون الرواية جيدة بقدر ما كانت غير متصنعة. إنني أتعمد الفشل في كتابة الرواية فأكتب برداءة، وأهرب وأنا أتقهقر للخلف وأنا أحك رأسي، فقط من

أجل أنني أرغب في رؤية وجوه أصدقائي تعلوها الضحكة من أعماق قلوبهم. آه، يا لوجوهِ أصدقائي السعيدة وقتها!

تُرى ما مشاعر الحب تلك التي تجعلني أتمنى أن أعزف في بوق مزيف بجمل رديئة ومظهر شخص سيئ لأقول لهم: هنا أغبى شخص في اليابان! أنتم ما زلتم أفضل حالًا! كونوا بصحة جيدة!

يُفصح صديق عما يجول في خاطره بوجه مزهو: تلكِ هي عادته السيئة. ولا يعلم أنه محبوب.

تُرى هل ثمة إنسان ليس سيئ السلوك؟

مشاعر بلا إحساس.

أريد مالًا.

وإن لم أجد،

فأن أموت موتًا طبيعيًا وأنا نائم!

أنا مدين للصيدلي بما يقرب من ألف ين. لقد أحضرت اليوم مدير محل الرهونات إلى البيت سرًّا، وأدخلته غرفتي، للبحث عن شيء في غرفتي يجذب نظره لأرهنه عنده، وطلبت منه أن يأخذه إذا وجده، فأنا أحتاج مالًا احتياجًا عاجلًا، ولكن مدير المحل لم ينظر حتى إلى الغرفة وهرب من طلبي قائلًا توقف عن ذلك فهذا الأثاث ليس ملكك. قلت له باندفاع قوي: جيد، إن كان الأمر كذلك، فخذ فقط ما اشتريته أنا حتى الآن من مصروف جيبي، ولكن لم يكن في الخردة التي جمعتها أمامه شيء واحد يصلح لأن يكون رهنًا.

فهذا أولًا تمثال ليد واحدة من الجبس. إنها اليد اليمنى لڤينوس. يد تشبه زهرة الأضاليا، يد ناصعة البياض، إنها موضوعة

فقط فوق قاعدة. ولكن عندما ننظر إليها بإمعان، فإن من المفترض أن نشعر بمشاعر الحزن لدرجة الاختناق التي تسببها لنا تلك اليد اليمنى الهشة ناصعة البياض التي تبدو بلا بصمات في الأنامل وبلا خطوط في الكف. تتوقف أنفاس ڤينوس بسبب الخجل من جسدها العاري الذي يراه الرجال، وتصرخ من الدهشة، ويجتاحها إعصار من الحياء والخجل لا يرحم جسدها الوردي العاري دون أن يترك ثغرات، وتتورّد وجنتاها في سخونة، فتلوي جسدها بحركة اليد تلك. ولكنها في النهاية عبارة عن خردة لا فائدة عملية منها، قدرها مدير المحل بخمسين سِنًّا[1].

وغير ذلك، خارطة كبيرة لضواحي باريس، خُذروف من البلاستيك قطره قدم تقريبًا، قلم جاف بسن له طبيعة خاصة يمكنه الكتابة بخط أرفع من الخيط، وكلها منتجات اشتريتها مؤخرًا وفي نيتي أنني كنتُ أنقّب عن الذهب. ولكن مدير المحل ضحك وقال اسمح لي بالرحيل. أوقفته قائلًا: انتظر، وفي النهاية حمّلت مدير المتجر جبلًا من الكتب وتسلمت منه مبلغًا وقدره خمسة ينات فقط لا غير. إن كتب رفوف هذه المكتبة، جعلتها من نُسخ الجيب لسلاسل الكتب فقط، بل ومن خلال جلب كتب من مكتبات بيع الكتب المستعملة، لذلك فمن الطبيعي أن يصبح سعر الرهن بذلك الانخفاض.

خمسة ينات فقط لا غير لحل مشكلة ديون بمقدار ألف ين. إن هذه هي قدراتي الفعلية في هذا العالم. وهو أمر لا يجلب حتى الضحك.

(1) العملة في اليابان هي الين الذي يتكون من مئة سِن لذا فخمسين سِنًّا تعني نصف ين/ المترجم.

منحط؟ ولكنني إن لم أفعل ذلك فلن أستطيع الاستمرار في الحياة. وبدلًا من قول ذلك أنا أمتن أكثر لمن لا ينتقدني بل يقول لي: مت! فهذا أكثر انتعاشًا. ولكن من النادر أن يقول لي أحد: مت! إنهم بخلاء منافقون في منتهى الحذر والحيطة.

العدل؟ إن جوهر ما يسمى الصراع الطبقي لا يوجد به مثل هذا الشيء مطلقًا. الإنسانية؟ كفى مزاحًا. إنني أعلم تمام العلم؛ أعلم أنه من أجل سعادتي يجب أن أسحق الآخرين. أبيدهم. مت! إن لم يكن هناك هذا الإعلان، فما هو؟ احذر من الخداع!

ولكن، في طبقتنا الاجتماعية ما من شخص واحد محترم. بُلَهاء، أشباح، بخلاء، كلاب مسعورة، كاذبون، متنطعون، تبول من فوق السحاب.

إنهم أناس غير جديرين بأن تقول لهم ولو كلمة مت!

الحرب. إن حرب اليابان هي حرب اليائس.

إنني أكره الموت متورطًا في حرب اليائس. إنني أريد الموت وحيدًا تمامًا.

إن الإنسان عندما يكذب، بالضرورة يتخذ وجهًا جادًّا. يا لها من جدية! جدية قادة هذا الزمان! أفٍّ!

أريد أن أقضي وقتي مع أشخاص لا يرغبون في احترام الآخرين.

ولكن، مثل هؤلاء الأشخاص الرائعين، لا يرضون أن يقضوا أوقاتهم معي.

عندما تظاهرت بالنضوج المبكر، صارت شائعة بين الناس أنني نضجتُ مبكرًا. وعندما تظاهرت بأنني كسول، تكلمت الشائعات عن أنني كسول. وعندما تظاهرت بأنني لا أستطيع كتابة روايات، أشاع الناس أنني لا أستطيع الكتابة. عندما تظاهرت بأنني كاذب، قال الناس عني إنني كاذب. وعندما تظاهرت بأنني غني، أشاع الناس عني أنني غني. وعندما تظاهرت بأنني بارد المشاعر، أشاع الناس عني أنني إنسان بارد المشاعر. ولكن عندما أعاني بشدة وأتألم في الحقيقة وأصرخ دون قصد من شدة الألم يشيع الناس عني أنني أتظاهر بالمعاناة.

في الأغلب الوضع معكوس.

في النهاية، ما من وسيلة أمامي إلا أن أنتحر، أليس كذلك؟

عندما فكرت أن معاناتي الشديدة تلك تنتهي فقط بمجرد الانتحار، بكيتُ بصوت عال.

صباح ربيعي، تسلطت أشعة شمس الصباح على غصن برقوق انتشرت فيه زهرتان أو ثلاث زهرات متفتحة هنا وهناك، يُقال إن طالبًا شابًا في هايدلبرغ مات مشنوقًا هزيلًا على ذلك الغصن.

- ماما! أرجوك وبِّخيني!
- بأية طريقة؟
- قولي لي: أيها التافه الضعيف.
- حقًا؟ أيها التافه الضعيف... حسنا ألا يكفي هذا؟

إن أمي بها طيبة قلب ليست لها نظير. عندما أفكر في

أمي تأتيني الرغبة في البكاء. يجب عليَّ الموت كذلك من أجل الاعتذار إلى أمي.

اغفري لي! مرة ثانية فقط. اغفري لي!

عامًا بعد عامًا
وهو أعمى كما هو
فرخ الكركي
يُربّى ويعيش
ثم يسمن! يا للبؤس
(شعر تجريبي للعام الجديد)

مورفين، أتومورل، ناركوپون، پانتوپون، پابينال، پانوپين، أتروپين

عزة نفس؟ ماذا تعني عزة النفس؟
ألا يستطيع الإنسان، كلا، بل ألا يستطيع الرجل أن يعيش دون التفكير في: (إنني رائع)، (إن لي مزايا كثيرة) إلخ؟
يكره الناس والناس تكرهه.
التنافس في الذكاء.

المهابة = شعور البلاهة
على أي حال، لا شك أن الإنسان يُخادع وذلك لأنه يعيش.

خطاب من أجل الحصول على قرض.

«أرجو منكِ الرد.

أتوسل إليكِ أن تجيبي.

ثم أرجو أن يحمل الرد بالضرورة بشرى.

إنني أصرخ من الألم بسبب ما فعلته من أفعال مختلفة تسبب الخزي والعار.

ليس هذا تمثيلًا. ليس ذلك مطلقًا.

أتوسل إليكِ.

إنني أكاد أن أموت من الخجل.

إنني لا أبالغ.

كل يوم كل يوم، أنتظر الرد، إنني أرتعد من الرعشة ليلًا ونهارًا.

أرجوكِ لا تجعليني أعض الرمل.

تتسلل أصوات الضحك من الحائط، فأتقلب في فراشي في منتصف الليل.

أرجوك لا تجعليني ألاقي الخزي والعار.

يا أختي العزيزة!»

قرأت إلى هذا الحد، ثم أغلقت يوميات ست الحسن تلك، وأعدتها إلى الصندوق الخشبي، وبعد ذلك مشيت تجاه النافذة، وفتحتها على مصراعيها بالكامل، ونظرتُ لأسفل إلى الحديقة، وفكرتُ في تلك الأيام.

لقد مر بالفعل ستة أعوام منذ ذلك الوقت. كان إدمان ناوجي للمخدرات سببًا في طلاقي، كلا، لا يجب أن أقول ذلك، فإنني أشعر أن طلاقي كان مقدرًا منذ يوم ميلادي وكان سيحدث في وقت ما لأي سبب آخر حتى لو

لم يدمن ناوجي المخدرات. كان ناوجي يلح عليَّ في طلب المال من وقت لآخر من أجل دفعه للصيدلي. كنتُ تزوجتُ لتوي من ياماكي، ولم أكن أملك التحكم في المال بحرية هكذا، علاوة على أنني أعتقد أن إرسال أموال بيت زوجي سرًّا إلى أخي الأصغر في بيت عائلتي، يضعني في وضع سيئ جدًّا، ولذلك استشرت خادمتي «أوسيكي» التي جاءت معي من بيت عائلتي ثم بعتُ أسورتي وقلادتي وفساتيني. أرسل أخي الأصغر إليَّ رسالة يطلب فيها المال، ثم قال: «إنني الآن أعاني من الخجل ولا أستطيع أن أريك وجهي يا أختي العزيزة ولا حتى أن أتحدث معك في الهاتف، ولذلك، أرجوك أن تأخذ الخادمة أوسيكي ذلك المال وأن تذهب به إلى مسكن كايانو في المربع رقم كذا في المقاطعة رقم كذا في حي كيوهاشي للسيد جيرو أويهارا الروائي الذي يُفترض أنه يعرف اسمك فقط يا أختي العزيزة. إن السيد أويهارا يشتهر في المجتمع بأنه سيئ السمعة والأخلاق، ولكنه ليس كذلك مطلقًا، ولذلك أرجو أن تطمئني وترسلي المال إلى السيد أويهارا. فإن فعلتِ ذلك فمن المؤكد أن السيد أويهارا سيتصل بي هاتفيًّا ويخبرني بما حدث، لذلك أرجوك أن تقومي بما أقوله لك، إن ماما فقط هي الوحيدة التي لم تلحظ إدماني هذه المرة، وأنا أنوي أن أفعل المستحيل لكي أتعافى من هذا الإدمان قبل أن تنتبه أمي، إن حصلتُ على المال منك يا أختي العزيزة هذه المرة، سأسدد ديوني كلها للصيدلي، ثم إنني أنوي أن أذهب إلى منتجع شيوبارا مثلًا، وأعود بعد أن أشفى وأصبح صحيح البدن والروح، صدقيني، إن انتهيت من دفع ديون الصيدلي كلها، لقد نويت فعلًا أن أترك المخدرات تمامًا منذ اليوم تركًا تامًّا، أرجوك صدقيني، واجعلي الأمر سرًّا مخفيًّا عن ماما، أرسلي أوسيكي إلى السيد أويهارا في مسكن كايانو، أتوسل إليكِ». كان المكتوب في الجواب أشياء مثل هذه، وأنا كما قيل لي تمامًا، اتبعت تلك التعليمات، وأعطيت أوسيكي المال،

وجعلتها تذهب سرًّا إلى بيت السيد أويهارا، ولكن قسم أخي في الخطاب، دائمًا ما يكون كذبًا، فلم يذهب إلى منتجع شيوبارا، وحالة إدمانه للمخدرات أصبحت في النهاية أكثر فظاعة، وأصبحت كلماته في الخطابات التي يلح فيها في طلب المال تشبه حالة من المعاناة والصراخ والعويل، ويقسم قسمًا محزنًا أنه سيقلع عن المخدرات حقًّا هذه المرة إلى درجة الرغبة في إبعاد وجهي عنه، ومع اعتقادي أنه يكذب أيضًا هذه المرة فإنني للأسف جعلت أوسيكي تبيع البروش وغيره من المجوهرات، وتحمل المال إلى بيت السيد أويهارا.

- أي نوع من الناس هو، ذلك السيد أويهارا؟

أجابت أوسيكي قائلة:

- إنه شخص ضئيل الجسم شاحب الوجه، سيئ المعشر. ولكن من النادر أن يكون في البيت. على الأغلب تكون في البيت زوجته وطفلته التي في السادسة أو السابعة من العمر فقط. إن زوجته تلك ليست بتلك الدرجة من الجمال، ولكنها تبدو طيبة القلب وإنسانة ذات أدب عال جدًّا. يمكنك أن تأمني مثل تلك الزوجة على المال دون قلق.

وقتها كنتُ شاردة الذهن بلا مبالاة شديدة مقارنة بي الآن، كلا بل لدرجة لا يمكن مقارنتها أبدًا، وكأنني إنسانة مختلفة تمامًا، ولكن مع ذلك، مع توالي المرات مرة بعد مرة، بل وفي كل مرة يزيد المبلغ المطلوب، أصبحتُ في غاية القلق، كنتُ عائدة لمدة يوم من مشاهدة مسرح النو، جعلت السيارة تعود من غينزا، ثم مشيتُ بمفردي وزرتُ مسكن كايانو في حي كيوهاشي.

كان السيد أويهارا يجلس وحيدًا في غرفته يقرأ في جريدة. يرتدي كيمونو تقليديًّا مخططًا مع معطف من القماش الكحلي المرقش بالأبيض، وأخذت عنه انطباعًا أوليًّا عجيبًا لا أدري أهو شيخ عجوز، أم شاب صغير السن، أم مخلوق خرافي لم أره من قبل حتى الآن؟

- إن زوجتي ذهبت لتوها مع الطفلة لاستلام مواد التموين.

قال ذلك بكلمات متقطعة بصوت يشبه نخير الأنف. على ما يبدو أنه ظن خطأ أنني صديقة زوجته. وعندما قلت له إنني أخت ناوجي الكبرى، ضحك السيد أويهارا من أنفه. فارتعد جسمي لسبب مجهول.

- دعينا نخرج من هنا.

قال ذلك ولبس القباء، وأخرج قبقابًا جديدًا من صندوق القباقيب ولبسه، وأسرع بالمشي أمامي في ممر البيت.

في الخارج كان غروبًا في بداية الشتاء. كانت الرياح باردة وبها إحساس رياح النهر التي تهب من ناحية نهر سوميدا. وكأنه يقاوم تلك الرياح، رفع السيد أويهارا كتفه الأمين قليلًا ومشي صامتًا تجاه حي تسوكيجي. وكنتُ ألاحقه بخطوات قصيرة سريعة.

دخلنا غرفة تحت الأرض في مبنى خلف مسرح طوكيو، غرفة طويلة ورفيعة بمساحة عشرين حصيرة من حصير التاتامي بها أربعة أزواج من الزبائن أو خمسة، يجلس كل زوجين متقابلين على الطاولة، يشربون الخمر في هدوء.

شرب السيد أويهارا الساكي في كوب. ثم قرب مني كوبًا آخر، وعرض عليَّ أن أشرب الساكي. شربتُ مقدار كوبين، ولم أشعر بشيء.

كان السيد أويهارا يشرب الساكي ويدخن السجائر في صمت حتى النهاية. وكنتُ أنا أيضًا صامتة. لقد كانت تلك هي المرة الأولى لي في حياتي أن أذهب إلى مكان مثل هذا، ولكنني أحسستُ بالراحة والمزاج الجيد.

- ربما كان من الأفضل تناول الساكي.

- ماذا؟

- كلا، أقصد أخيك الأصغر. ربما من الأفضل التحول إلى الكحول. لقد سبق لي أن أدمنتُ المخدرات في الماضي، إن الناس تكره ذلك

إلى حد ما، ومع أن للكحول أيضًا نفس الشيء تقريبًا، ولكن الناس على غير المتوقع تتغاضى عن الكحول. لنعمل على أن يصبح أخوك الأصغر مدمنًا للخمر. ما رأيك؟

- لقد سبق لي مرة أن رأيت مدمنًا للخمر. عندما كنتُ على وشك الخروج في رأس السنة، إنه أحد معارف سائقنا الخاص، كان نائمًا على المقعد المجاور للسائق يصدر شخيرًا عاليًا وذا وجه بلون أحمر فاقع وكأنه شيطان. وعندما صرخت من الدهشة، قال السائق إنه مدمن خمر، ولا حيلة معه، ثم أنزله من السيارة، وحمله على كتفه وذهب به إلى مكان ما. كان جسده منهكًا تمامًا وكأنه بلا عظام، ومع ذلك كان يشتكي بكلام مبهم، لقد كنتُ وقتها أرى مدمن خمر لأول مرة في حياتي، كان أمرًا مشوقًا.

- حتى أنا مدمن خمر.

- حقًّا، ولكنك تبدو مختلفًا، أليس كذلك؟

- وحتى أنت أيضًا مدمنة الخمر.

- كلا، لستُ كذلك. لقد سبق لي رأيت مدمن خمر حقيقيًا. وهو يختلف تمامًا.

ضحك السيد أويهارا لأول مرة مستمتعًا وقال:

- حسنًا، ربما لا يصبح أخوك الأصغر مدمنًا للخمر، ولكن على أي حال من الأفضل له أي يصبح شخصًا يشرب الخمر ويدمنها. هيا بنا نعود. إن تأخر الوقت ستكونين في ورطة أليس كذلك؟

- كلا، لا مانع مطلقًا.

- كلا، ولكن في الواقع أنا مللت جدًّا. أيتها النادلة! الحساب من فضلك!

- هل سيكون مبلغًا كبيرًا جدًّا؟ لو كان قليلًا فقد أحضرت معي بعض النقود.

- حقًّا؟ إذن الحساب عليكِ أنتِ.

- ربما لا يكفي.

نظرتُ إلى ما في حقيبتي وأعلمت السيد أويهارا بالمبلغ الذي معي.

- إن كان لديك هذا فهو يكفي للشرب في محلين أو ثلاثة محلات أخرى. لا تعامليني على أنني أحمق!.

قال السيد أويهارا ذلك وهو عابس الوجه، ثم ضحك.

وعندما سألته:

- هل ستذهب للشرب في مكان آخر؟

هز رأسه نافيًا بجدية وقال:

- كلا لقد اكتفيت. سوف أوقف لك تاكسيًّا، أرجو أن تعودي لبيتك.

صعدنا درجات سلالم الطابق الذي تحت الأرض المظلم. صعد السيد أويهارا أمامي بخطوة في منتصف السلالم، التفت تجاهي، وقبلني قبلة سريعة. تقبلتُ تلك القبلة وأنا أغلق شفتي في صرامة.

لم أكن أحب السيد أويهارا بصفة خاصة، ولكن مع ذلك، منذ ذلك الوقت نشأ داخلي «هذا السر». صعد السيد أويهارا الدرجات سريعًا وأقدامه تصدر صوتًا صاخبًا، وصعدتُ أنا الدرجات ببطء في مشاعر شفافة عجيبة، وعندما خرجت للخارج، كان ارتطام نسيم النهر بخدودي في منتهى المتعة.

أوقف السيد أويهارا لي تاكسيًّا، وافترقنا في صمت.

شعرت وأنا أهتز مع اهتزازات السيارة أن العالم فجأة قد أصبح واسعًا مثل المحيط.

في أحد الأيام شعرتُ بالوحدة والكآبة بعد عراك مع زوجي فقلت له فجأة:

- إن لي عشيقًا.
- أعرف. إنه هوسودا، أليس كذلك؟ ألا تستطيعين اليأس من حبه مهما فعلتِ؟

التزمتُ الصمت.

أصبحت تلك المشكلة تظهر بيني وبين زوجي في كل مرة نتعارك فيها. وفكرت أن تلك هي النهاية وأن الأمر لا يحتمل. فعندما أخطئ في قص قماش الفستان، ولا أستطيع إعادة حياكة ذلك القماش مرة أخرى، يجب عليَّ أن أرميه كله وأن أبدأ مرة أخرى في قص قماش جديد مختلف.

- هل يمكن أن يكون ذلك الجنين!

عندما قال لي زوجي ذلك في إحدى الليالي، بدأت أرتعش رعشات شديدة من الرعب. أفكر في الأمر الآن، كنتُ أنا وهو صغيرَي السن. وأنا لم أكن أعرف العشق. بل لم أكن أفهم حتى معنى الحب. لقد كنتُ أهيم باللوحات التي يرسمها السيد هوسودا، وأفكر قائلة يا لها من حياة معيشية يومية رائعة وجميلة سوف أعيشها! إن أصبحتُ زوجة لمثل هذا الرجل. لقد كنتُ أشيع بين الجميع أن الزواج ليس له معنى إن لم يكن بشخص مثله له تلك الهواية. ولذا أساء الجميع الفهم، ومع ذلك كنتُ أعلن للجميع أنني أحب السيد هوسودا مع عدم فهمي للحب ولا العشق، ولم أحاول نفي ذلك، ولذا فقد اشتبك الأمر وتعقد، حتى أن الجنين الذي ينام في بطني، أصبح وقتها هدفًا لشكوك زوجي، ولم يبادر أحد إلى القول علانية إن من الأفضل الطلاق، ومع ذلك، في غفلة من الزمن، أصبح الوضع مفسدًا لمتعة الحياة، فرجعت إلى بيت أمي مع أوسيكي التي جاءت معي، وبعد

ذلك ولد الطفل ميتًا، ونمت مريضة، وكان ذلك آخر ما بيني وبين ياماكي زوجي.

ربما أحس ناوجي ببعض المسؤولية من طلاقي، فقال: «سوف أنتحر»، وهو يبكي وينتحب حتى كأن وجهه قد تعفن. وعندما جربتُ أن أسأل أخي الأصغر كم وصلت ديون الصيدلي؟ وجدتُ أن الديون وصلت لمبلغ مخيف. بل عرفتُ أن أخي لا يستطيع قول المبلغ الحقيقي وأنه يكذب. فالمبلغ الحقيقي الذي اتضح فيما بعد، كان ثلاثة أضعاف المبلغ الذي أخبرني به أخي الأصغر في ذلك الوقت.

- لقد قابلت السيد أويهارا. إنه شخص طيب القلب. ما رأيك لو تذهب لشرب الخمر مع السيد أويهارا؟ أليس الخمر رخيص الثمن؟ إن كنت لا تملك ثمن الخمر، فسوف أعطيك أنا أي مبلغ. ولا تقلق أيضًا من دفع ديون الصيدلي. سأتصرف أنا بشكل أو بآخر.

على ما يبدو أن قولي: «إنني قابلت السيد أويهارا وإنه شخص طيب القلب» قد جعل أخي الأصغر يسر سرورًا بالغًا، وفي تلك الليلة أخذ مني مالًا وذهب على الفور لمقابلة السيد أويهارا.

ربما يكون الإدمان حقًّا مرضًا نفسيًّا. لقد مدحتُ السيد أويهارا، ثم استعرت من أخي كتب السيد أويهارا وقرأتها، فقلت له: «إنه شخص عظيم»، فقال أخي: «وهل يمكن لك يا أختي أن تفهمي ذلك؟» إلا أنه مع ذلك أعطاني كتابًا آخر للسيد أويهارا وقال: «حسنًا اقرئي هذا» وهو يبدو مسرورًا، وأثناء ذلك بدأت أقرأ روايات السيد أويهارا بجدية، ثم بدأنا أنا وأخي نتبادل الحديث عنه، وأخذ أخي يذهب كل ليلة إلى السيد أويهارا بغرور كبير، وكما خطط السيد أويهارا يبدو أنه بدأ يتحول تدريجيًّا إلى الكحول. وعندما استشرت أمي سرًّا في أمر ديون الصيدلي غطت أمي وجهها بإحدى يديها

وظلت فترة بلا حركة، ثم رفعت وجهها أخيرًا وضحكت ضحكة حزينة، وقالت: «مهما فكرنا فلن نصل إلى حل، لا أعلم كم سنة سيستغرق ذلك، ولكن ليس أمامنا إلا أن نسدد الدين شيئًا فشيئًا كل شهر».

لقد مر الآن ست سنوات على ذلك.

ست الحسن. آه، لا بد أن أخي الأصغر أيضًا يعاني. الطريق مسدود أمامه، وعلى الأرجح لا يعرف حتى الآن ماذا يفعل؟ وكيف يفعله؟ فقط كل يوم يشرب الخمر بنية الموت.

تُرى ماذا يجري لو أنه تجرأ واتخذ الشر مهنة حقيقة له؟ أليس على العكس إن فعل أخي الأصغر ذلك، ستهون عليه الأمور؟

لقد كتب في مفكرته: «تُرى هل هناك إنسان ليس سيئ السلوك؟» ولكن عندما يُقال لي ذلك، أفكر أن خالي سيئ السلوك، وأمي كذلك، سيئة السلوك. ألا يعني سوء السلوك، طيبة القلب؟

الفصل الرابع

لقد احترت حيرة شديدة، ماذا أفعل؟ هل أكتب رسالة؟ تذكرتُ هذا الصباح كلمة المسيح التي تقول: «كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام»[1]، فارتفعت روحي المعنوية بطريقة مريبة، وقررت أن أرسل لك هذه الرسالة. إنني أخت ناوجي الكبرى. تُرى هل نسيت أمري؟ إن كنتَ نسيت فأرجوك أن تتذكرني.

لقد ذهب ناوجي منذ فترة وتسبب في إزعاجك، وكما سمعت أنه تسبب لك في مشاكل كثيرة، وأنا أعتذر عن ذلك. (ولكنه في الحقيقة أمر ناوجي، فهو من فِعْل ناوجي نفسه، وأشعر أنه من غير المنطقي أن أعتذر أنا بالنيابة عنه) ولكن لي اليوم عندك رجاء ليس بشأن ناوجي، بل بشأني أنا. لقد سمعتُ من ناوجي أن بيتك بحي كيوهاشي تدمر بسبب الحرب وأنك انتقلت الآن إلى عنوانك هذا، ولقد فكرتُ أن أذهب إليك في ذلك البيت في ضواحي طوكيو، ولكن حالة أمي الصحية سيئة قليلًا منذ مدة، ولم أستطع بأي شكل أن أتركها وأذهب إلى طوكيو، ولذا قررتُ أن أكتب لك هذه الرسالة بدلًا من ذلك.

ثمة أمر ما أريد أن أستشيرك بشأنه.

إن هذه الاستشارة لو نظرنا إليها من خلال موقف «الأخلاق الحميدة للمرأة» الذي كان منتشرًا في الماضي، ربما يكون ذنبًا له طبيعة شريرة وفي

(1) إنجيل متى، الإصحاح العاشر، آية 16.

غاية الخباثة والقذارة، ولكنني، كلا بل لكننا، كما نحن الآن، ما من سبيل لنا إلى الحياة بعد الآن. أريد منك، وأنت أكثر شخص يحترمه ويبجله أخي في هذا العالم، أن تستمتع إلى مشاعري الصادقة وأرجو منك أن تنصحني وترشدني.

إنني لم أعد أتحمل حياتي هذه. ليس الأمر أمر حب أو كره، ولكن لأننا نحن الثلاثة الأم والأبناء لن نستطيع الاستمرار في العيش بهذه الحالة.

وأمس كنتُ أعاني بشدة، وبدت الحمى على جسمي وضيق التنفس، وعندما لم أستطع التحكم في نفسي بعد وقت الظهيرة بقليل، جاءت ابنة المزارع وصعدت إلينا وهي تحمل على ظهرها الأرز وسط هطول الأمطار. ومن ناحيتي أنا، أعطيتها الملابس التي وعدتها بها. جلست الفتاة قبالتي في المطبخ وهي تشرب الشاي الأخضر، وقالت بنبرة واقعية جدًّا:

- تُرى كم من الوقت ستستطيعون العيش من الآن وأنتم تبيعون أغراضكم؟

أجبتها قائلة:

- تقريبًا ستة أشهر أو سنة.

ثم أخفيت نصف وجهي بيدي اليمنى وقلتُ:

- إنني نعسانة. أشعر بالرغبة في النوم بدرجة لا تحتمل.
- إنك مرهقة. من المؤكد أنه الوهن العصبي الذي يجعلك ترغبين في النعاس.
- على الأرجح هو كذلك.

كنت على وشك أن أذرف الدموع، وفجأة برزت في ذهني كلمتا الواقعية والرومانسية. أنا لست واقعية. وأفكر هل يمكن أن أعيش بهذه الحالة؟ شعرتُ ببرودة تجتاح جسمي كله. فأمي مريضة على ما يبدو، تنام كثيرًا ثم تقوم،

وأخي الأصغر كما تعلم مريض بمرض نفسي عظيم، وعندما يكون هنا، يجتهد في الذهاب إلى النُّزل أو المطاعم القريبة لكي يشرب خمر الشوتشو، ويذهب مرة كل ثلاثة أيام إلى طوكيو ومعه أموال بيع ملابسنا. ولكن معاناتي ليس من هذا الشيء، ولكنني أشعر بالخوف من أن تتعفن حياتي نفسها وتتبعثر كأوراق الموز في مثل هذه المعيشة اليومية، أتوقع أن تتعفن نفسي وأنا واقفة لا أفعل شيئًا. أمر لا يمكن احتماله مطلقًا. ولذلك فحتى إن تجاهلت «الأخلاق الحميدة للمرأة»، فأنا أريد أن أهرب من حياتي الحالية.

ولذلك أستشيرك أنت في ذلك.

إنني الآن، أريد أن أعلن ذلك بوضوح إلى أمي وأخي الأصغر. أريد أن أُعلن لهما بكل وضوح أنني أحب شخصًا من قبل، وأنوي أن أعيش في المستقبل عشيقة لذلك الرجل. ويُفترض أنك أنت أيضًا تعرف ذلك الرجل على ما أتذكر. إن الحروف الأولية لاسم ذلك الرجل هي (M.C). فمنذ فترة وأنا أعاني عندما يقع لي شيء، كنتُ أريد أن أطير وأذهب إلى مكان (M.C) هذا، وأشعر بمشاعر الشوق له لدرجة الموت.

إن (M.C) مثلك له زوجة وأبناء. وعلى ما يبدو أيضًا أن له صديقات أصغر مني وأجمل مني كثيرًا. ولكن مع ذلك أشعر أنه ما من سبيل لي لكي أعيش إلا بالذهاب إليه. إنني لم أقابل بعد زوجة (M.C) حتى الآن، ولكنها تبدو سيدة في منتهى الحنان والطيبة. عندما أفكر في أمر تلك الزوجة، أرى أنني امرأة في غاية البشاعة. ولكنني أشعر أن حياتي الآن تبدو أكثر بشاعة من ذلك، ولا أستطيع ترك الاعتماد على (M.C). إنني أريد أن أحقق حبي بحكمة كالحيات وبساطة كالحمام. ولكن من المؤكد، أن لا أمي ولا أخي ولا أي إنسان في هذا المجتمع سوف يوافقني على هذا. ما رأيك أنت؟ في النهاية، عندما أكتشف أنه لم يعد أمامي إلا أن أفكر بمفردي، وأتحرك بمفردي،

تنهمر دموعي. لأن ذلك يحدث لي لأول مرة منذ ميلادي. أما من طريقة لإنجاز هذا الأمر الصعب والحصول على التهنئة والتبريكات من المحيطين؟ وكأنني أفكر في حل معادلة صعبة في علم الجبر وتفكيكها إلى عناصرها الأولية، وأتمعن في فكري، مكان واحد في مكان ما، أشعر أن ثمة طرف خيط يتفكك بمهارة إلى أجزاء عديدة، وفجأة أُصبِح مرحة نوعًا ما.

ولكن المهم هو كيف يفكر (M.C) بشأني؟ عندما أفكر في ذلك، فإنني أصاب بالغم. كيف أقول ذلك... هل أذهب وأفرض نفسي عليه... ولكن لو ذهبتُ عنوة فلا يمكن القول إنني زوجة تفرض نفسها عليه، هل يمكن أن أطلق على ذلك عشيقة تفرض نفسها عليه؟ ولأنني بهذا الحال، فإن (M.C) إن قال إنه يكره ذلك، فسوف ينتهي كل شيء. ولذلك، أنا أطلب منك أنت هذا الرجاء. أرجو منك أن تسأل ذلك الرجل من أجلي. إن قوس قزح خفيفًا خافتًا ظهر في صدري في أحد الأيام منذ ستة أعوام، ولكنه لم يكن حبًّا ولا عشقًا، وكلما مرت الأيام والسنين كانت ألوان قوس قزح هذا تزداد كثافة وزهوًا ولم أفتقده ولو مرة واحدة منذ ذلك الوقت وحتى الآن. إن قوس قزح المعلق في سماء الغروب الصافية، يختفي سريعًا بعد قليل وقت دون أثر، أما قوس قزح المعلق في قلب إنسان، فيبدو أنه لا يختفي إلى الأبد. أرجوك أن تسأل ذلك الشخص بأية طريقة. كيف يفكر ذلك الرجل في شخصي وكيف يراني حقًّا؟ تُرى هل يعتقد أنني حقًّا مثل قوس قزح في سماء ما بعد الأمطار؟

إن كان الأمر كذلك، فيجب عليَّ أنا أيضًا أن أخفي قوس قزح الذي في صدري. ولكن يجب أن أخفي قبل ذلك حياتي نفسها. فلا يبدو أن قوس قزح الذي في صدري يمكن أن يُزال.

أُصلّي من أجل أن تجيب على رسالتي.

إلى السيد جيرو أويهارا (تشيخوفي أنا، My Chekhov، M.C)

حاشية: لقد زاد وزني تدريجيًّا مؤخرًا، وأعتقد أنني أصبحت أخيرًا أكثر إنسانية أكثر من أن أكون امرأة حيوانية. في هذا الصيف قرأت رواية واحدة من روايات لورانس.

لأنك لم تجب على رسالتي، سأكتب إليك برسالة ثانية. فعلى ما يبدو أنك أدركت أن الرسالة التي أرسلتها إليك من قبل، كانت تمتلئ بالخبث الشديد والحيل القذرة جدًّا مثل الحيات. إنني بذلت كل ما لدي من مكر ودهاء في كل سطر من أسطر رسالتي تلك. ولكن يبدو في النهاية أنك ظننت أن تلك الرسالة هي فقط من أجل النية في طلب المال وأنني أطلب منك مساعدتي فقط في حياتي المعيشية. إنني لن أنكر ذلك الأمر، ولكن، لو إنني أطلب فقط مجرد كفيل يكفل لي معيشتي، فلن أتوجه إليك أنت بذلك الرجاء وأعتذر إن كان في ذلك إساءة إليك. فأنا أشعر أن هناك العديد غيرك من الأغنياء كبار السن ممن يمكنهم أن يدللوني ويكفلوني. ولقد جاءني منذ مدة قريبة حديث بهذا المحتوى على أرض الواقع. ربما تعرف أنت اسم ذلك الرجل، فهو رجل أعزب تخطى الستين من العمر، ويعمل عضوًا في أكاديمية الفنون الجميلة، مثل هذا الأستاذ العظيم، جاء إلى هذا البيت الجبلي لكي يطلبني. لقد كان ذلك الأستاذ يسكن بالقرب من بيتنا في حي نيشيكاتا، أي أننا كنا جيرانًا على علاقة طيبة، ونتقابل من حين لآخر. أتذكر أنه في مساء خريفي من أحد الأعوام، مررتُ مع أمي بالسيارة من أمام بيت ذلك الأستاذ، كان يقف شاردًا بمفرده أمام مدخل البيت، فأومأت أمي إليه بالتحية من نافذة السيارة، فكان وجه ذلك الأستاذ أزرق شاحبًا يبدو عليه التعب، وأكثر حمرة من براد الشاي.

فقلتُ في اهتياج:

- أتراه العشق؟ إنه يحب أمي، أليس كذلك؟

ولكن أمي كانت هادئة وقالت وكأنها تحدث نفسها:

- كلا، إنه إنسان عظيم.

ويبدو أن احترام وتبجيل الفنانين من عادات أسرتي العريقة.

وكان ذلك الأستاذ على ما يبدو قد فقد زوجته في العام الماضي فتعرف على أمير من عائلة القصر من أصدقاء خالي وادا أثناء مشاهدة مسرحية «تنغو» لمسرح النو، وأبلغ ذلك لأمي، وقالت لي أمي: «ما رأيك يا كازوكو لو أبلغت ذلك الأستاذ مباشرة بالرد الذي ترينه»، أنا لم أفكر في الأمر بذلك العمق، ولأن الأمر كريه بالنسبة لي، فكتبتُ بسلاسة وبدون نية أنني ليس لدي نية في الزواج حاليًّا.

- يمكنني الرفض، أليس كذلك؟

- بالتأكيد... حتى أنا كنتُ أرى أنه أمر صعب التحقيق.

وفي ذلك الوقت كان الفنان في رحلة إلى بيته الجبلي في كارويزاوا، وعندما أرسلت له الرد إلى هناك، بعد يومين، وخلافًا لذلك الرد، أتى الأستاذ بنفسه، وقال إنه مر علينا في منتصف رحلة عمل إلى منابع العيون الساخنة في إيزو، ولم يكن يعرف أي شيء عن ردي الذي أرسلته له مطلقًا، وظهر أمامنا في بيتنا الجبلي هذا فجأة ودون سابق موعد. على ما يبدو أن الفنانين مهما بلغ بهم العمر يفعلون ما يحلو لهم مثل الأطفال.

ولأن حالة أمي الصحية كانت سيئة فقد خرجتُ أنا لملاقاته وقدمتُ له الشاي الياباني الأخضر في الغرفة الصينية، وقلتُ له:

- أعتقد أن رسالة الرفض قد وصلت الآن إلى كارويزاوا. لقد فكرتُ في الأمر كثيرًا.

فقال متململًا وهو يمسح عرقه:

- أحقًّا؟ ولكن أرجو منك أن تحاولي التفكير مرة ثانية في هذا الأمر. أنا، ماذا يمكنني أن أقول، ربما لا أستطيع أن أمنحك السعادة النفسية،

ولكن بديلًا عن ذلك، فإنني أستطيع أن أمنحك أي سعادة مادية مهما كانت. إن هذا فقط ما أستطيع قوله بكل وضوح. بكل صراحة وبلا خجل.

- كلمتك هذه، السعادة! أنا لا أستطيع أن أفهمها جيدًا. يبدو أنني أتحدث بوقاحة، وأعتذر عن ذلك. في خطاب تشيخوف إلى زوجته، كتب لها قائلًا: أرجوك أن تلدي لي طفلًا، أرجوك أن تلدي طفلنا. وحتى نيتشه في مقالاته يستخدم كلمة المرأة التي أريدها أن تلد أطفالي. إنني أريد أطفال. إن السعادة وغيرها لا أهمية لها عندي. إنني أريد المال، ولكن إن كان مالًا يكفي فقط لتربية الطفل فهو كاف جدًّا.

ضحك الفنان ضحكة غريبة وقال بغرور لا يتناسب مع سنه:

- إنك إنسانة نادرة الوجود، إنسانة تقولين ما تعتقدين فيه أيًّا كان. عندما أكون مع شخص مثلك، ربما تنزل عليَّ روح جديدة للعمل والإبداع.

وفكرتُ أنني إن استطعت بقوتي حقًّا أن أعيد الشباب لأعمال مثل هذا الفنان العظيم، فلا شك أن ذلك يمكن أن يكون هدفًا لحياتي، ولكنني للأسف لم أستطع مهما حاولت أن أتخيل نفسي في حضن ذلك الفنان الكبير.

ضحكتُ ضحكة خفيفة وسألت الفنان:

- ألا تمانع حتى وإن لم أُكِنُّ لك حبًّا في قلبي؟

فقال الفنان الكبير بجدية:

- بالنسبة للمرأة هذا يكفي. يكفي من المرأة أن تكون شاردة الذهن لا تفكر في شيء.

- ولكن امرأة مثلي، لا يمكن أن تفكر في الزواج بدون حب. لأنني امرأة راشدة بالفعل. في العام القادم سأكون في الثلاثين من عمري.

وشعرتُ أنني أريد أن أغطي فمي لا إراديًّا بيدي.

ثلاثون! تذكرتُ فجأة كلمات قرأتها في الماضي في رواية فرنسية تقول إن المرأة يبقى داخلها أريج البكارة حتى سن التاسعة والعشرين. ولكن، جسد المرأة في الثلاثين، لا يوجد به أريج بكارة الفتاة في أي مكان منه، فاجتاحتني مشاعر وحدة لا تُحتمل، وعند نظرتُ خارج البيت، كان البحر الذي تنصب عليه أشعة شمس الظهيرة، يتألق لامعًا وكأنه قطع زجاج مبهرج. عندما قرأت تلك الرواية، انتهى الأمر بأن قلت: «موافقة إنه بالتأكيد كذلك». إنني أشتاق إلى العصر الذي كنتُ أظن فيه أن معيشة المرأة تنتهي حتى عمر الثلاثين. من المؤكد أن أريج البكارة بدأ يخف تدريجيًّا من جسمي بالتزامن مع اختفاء الخواتم والقلائد والملابس والأحزمة من حولي واحدة بعد أخرى وفقداني لها. امرأة متوسطة العمر فقيرة. أواه، أكره ذلك. ولكن على أي حال فحتى حياة المرأة متوسطة العمر تحتوي على حياة امرأة. بدأتُ أفهم ذلك في الآونة الأخيرة. عند عودة معلمتي البريطانية إلى إنجلترا، أتذكر أنها قالت لي ما يلي وأنا في سن التاسعة عشرة:

«لا يجب عليك أن تقعي في الحب. فإنك إن وقعتِ في الحب ستكونين تعيسة. إن كان لا بد من الحب فيجب أن تفعلي ذلك في سن أكبر من الآن. أحبي بعد الثلاثين من العمر».

ولكن أصابتني الدهشة وأنا من قيل لي ذلك. ففي ذلك الوقت لم أكن أستطيع أن أتخيل أي شيء بعد أن أصبح في عمر الثلاثين.

قال الفنان الكبير فجأة بملامح وجه تبدو في غاية الخباثة:

- لقد سمعتُ شائعة أنكم سوف تبيعون هذا البيت الجبلي.

ضحكتُ ثم قلتُ:

- آسفة. لقد تذكرتُ بستان الكرز. أنت من سيشتريها، أليس كذلك؟

وعلى ما يبدو أن الفنان العظيم أدرك بحساسيته ماذا أعني، فصمت وهو يلوي فمه في غضب.

فقد كانت الحقيقة أنه كان هناك كلام فعلًا على أن أحد أمراء القصر سيشتري البيت بمبلغ نصف مليون ين من العملة الجديدة ليسكن فيه، ولكن انتفى هذا الكلام، ويبدو أن الفنان الكبير سمع تلك الشائعة في مكان ما. ويبدو كذلك أنه لم يتحمل أن أقارنه بالتاجر «لوباخين» في بستان الكرز، ولذا يبدو أن مزاجه ساء، فتحدث حديثًا عامًّا لوقت قليل ثم رحل.

إن ما أطلبه منك الآن، ليس أن تكون «لوباخين». إنني أستطيع أن أقول ذلك بوضوح، ولكن أرجو منك أن تقبل امرأة في منتصف العمر تفرض نفسها عليك.

لقد مر بالفعل ست سنوات تقريبًا على أول لقاء بيننا. وقتها، لم أكن أعرف شيئًا عن صفاتك الشخصية. فقط كنتُ أعتقد أنك مُعلّم أخي الأصغر، بل كنت أعتقد أنك مُعلّم سيئ إلى حد ما. ثم شربنا معًا خمر الساكي في كوب، وبعد ذلك قمت بعمل مقلب ثقيل، ولكنني كنتُ عادية تمامًا. أصبحت فقط خفيفة وأقل ثقلًا نوعًا ما. فلم أكن أُكِنُّ لك شيئًا، لا حبًّا ولا كراهية. ولكنني أثناء ذلك، ومن أجل أن أُرضي أخي الأصغر، استعرتُ كتبك منه وقرأتها، فكانت منها الممتع ومنها غير الممتع، فلم أكن قارئة متحمسة وشغوفة بك، ولكنك في لحظة ما -خلال السنوات- الست تغللتَ في صدري مثل الضباب تدريجيًّا. ثم إنني تذكرتُ فجأة في حيوية ما حدث بيننا في تلك الليلة على درجات سلالم البدروم، فشعرتُ أن ذلك حدثٌ عظيم جدًّا بالنسبة لي لدرجة أنه قد يحسم قدري ومصيري، فصرتَ عزيزًا على قلبي، وعندما فكرتُ أنه ربما كان ذلك هو الحب، شعرتُ بالوحدة والضياع، وبدأت في البكاء بمفردي بلا صوت. إنك تختلف تمامًا عن أي رجل. إنني

لا أحب الروائيين مثل نينا في رواية «النورس». إنني لست مبهورة أو شغوفة بالروائيين. وإن كنتَ تفكر أنني محبة للأدب فهذا سيجعلني أرتبك. إنني أريد طفلًا منك.

لو تقابلنا منذ زمن سابق وبعيد، عندما كنتَ أعزب، وعندما لم أكن قد ذهبتُ بعد إلى ياماكي، وحدث أن تزوجنا، فربما لم أكن لأعاني مثلما أعاني حاليًا، ولكنني يئست حقًّا من القدرة على الزواج منك. إنني أكره جدًّا أن تطرد زوجتك بعيدًا عنك، لأن ذلك عنف دنيء. فحتى لو كانت محظية لديك فأنا لا أمانع (أقولها بوضوح، إنني لا أريد أن ألفظ تلك الكلمة، ولا أستطيع تحملها، ولكن إن قلنا عشيقة، فإنها لا تختلف عما يقول عليه العامة محظية). ولكن على ما أسمع أن حياة المحظية في المجتمع أمر في غاية الصعوبة. فحسب ما سمعتُ من الناس، أن المحظية في العادة، عندما لا يكون ثمة حاجة إليها، يُلقى بها ويُستغنى عنها. فأي رجل عندما يبلغ ما يقرب الستين من العمر، يعود إلى زوجته وبيته. ولذلك، سمعتُ الخادم العجوز ودادتي في بيتنا بحي نيشيكاتا يتحدثان معًا في ذلك الأمر وخلصا أن آخر ما يجب على المرأة، أن تصبح محظية. إن هذا وضع المحظية في المجتمع العادي، ولكنني أشعر أن الأمر سيكون مختلفًا في حالتنا نحن. فأنا أعتقد أن أهم شيء بالنسبة لك، هو العمل. ثم إن كنت تحبني، من خلال علاقتنا الجيدة، فسيكون ذلك مفيدًا لعملك، أليس كذلك؟ وعندها سوف تقتنع زوجتك بعلاقتنا. يبدو كلامي هذا وكأنه حجج فارغة وغريبة تعارض المنطق، ولكن أعتقد أن فكرتي ليس بها أي خطأ بتاتًا.

المشكلة فقط هي ردك أنت. أتحبني أم تكرهني؟ أم تُرى أنك لا تشعر بشيء تجاهي؟ إن ردك هذا يرعبني منتهى الرعب، ولكن لا مفر لي من السؤال. في رسالتي السابقة أيضًا، كتبتُ أنني عشيقة تفرض نفسها عليك،

وكذلك في هذه الرسالة، كتبتُ أنني امرأة في منتصف العمر تفرض نفسها عليك، ولكن عندما فكرتُ في الأمر الآن جيدًا، إن لم يأت منك رد، فليس لدي وسيلة لكي أفرض نفسي عليك، وليس أمامي على الأرجح إلا أن أنحف وحيدة في شرود. فعلى أي حال إن لم تأت منك كلمة أكون فشلتُ.

وثمة أمر طرأ على عقلي حالًا، أنت بصفتك روائيًا كتبتَ مغامرات غرامية متعددة، وتنتشر عنك في المجتمع شائعات تقول إنك شرير ووغد، ولكنك في الحقيقة إنسان ذو حس البداهة. إنني لا أعرف ماذا تعني البداهة. إن استطعتُ فقط عمل ما أحبه، فتلك هي الحياة الحسنة. إنني أريد أن ألد طفلًا منك. إنني لا أريد أن ألد أطفالًا من أشخاص آخرين مهما كانت الظروف. ولهذا فأنا أستشيرك هكذا. إن فهمت أرجو منك الرد. أرجوك حدثني عن مشاعرك بوضوح.

لقد توقفت الأمطار، وبدأت الرياح تهب. الساعة الآن الثالثة بعد الظهر. سأذهب من الآن لاستلام تموين خمر من الدرجة الأولى (ستة جالونات). سأضع قنينتي خمر الرمّ في كيس، وأضع هذه الرسالة في جيب الصدر، وسأخرج بعد عشر دقائق لأذهب إلى القرية أسفل الجبل. ولكنني لن أجعل أخي الأصغر يشرب من ذلك الخمر. سأشربه بمفردي. سأتناول كوبًا واحدًا فقط منه كل ليلة. إن الخمر يجب حقًّا أن يُشرب في كوب.

ألا تأتي إلى بيتي؟

إلى السيد *M.C*

هطلت الأمطار اليوم أيضًا. تهطل أمطار مثل الضباب لا تُرى جيدًا بالعين. مع أنني أنتظر كل يوم، كل يوم بالفعل، ردَّك ولا أخرج من البيت، ولكن لم تصل لي رسائل حتى اليوم. تُرى ما

الذي تفكر فيه؟ في الرسالة الأخيرة التي أرسلتها لك، كتبتُ لك عن ذلك الفنان العظيم، هل هذا هو السبب؟ تُرى هل فكرت مثلًا أن كتابتي لحديث طلب الزواج في الفترة الأخيرة، كان الهدف منها أن أثير داخلك الغيرة فكرهتني بسبب ذلك؟ ولكن حديث الزواج هذا قد انتهى بعد ذلك وانقطع. لقد تحدثتُ منذ قليل مع أمي عن ذلك وضحكنا معًا. لقد اشتكت أمي من ألم في لسانها منذ فترة، ووصّاها ناوجي أن تتبع طريقة علاج الجمال، ومن خلال ذلك العلاج اختفى ألم اللسان، وأصبحت في الآونة الأخيرة في صحة جيدة قليلًا.

منذ قليل وقفتُ على حافة الحديقة، أتأمل الأمطار الضبابية التي تهب وتذهب وهي تصنع دوامات في الهواء، وفكرتُ في مشاعرك، فنادت عليَّ أمي من المطبخ قائلة:

- تعال يا كازوكو لقد غليتُ الحليب. جعلتُه ساخنًا جدًّا لأن الجو بارد.

تحدثنا عن الفنان ذلك اليوم في المطبخ ونحن نشرب الحليب الساخن الذي يتصاعد منه البخار.

- في الأصل ذلك الرجل الفاضل لا يناسبني مطلقًا، أليس كذلك؟

قالت أمي بمرح:

- لا يناسبك.

- أعتقد أنني إن تزوجتُه سيكون الأمر على ما يرام، فأنا أنانية جدًّا كما تعلمين، وعلاوة على ذلك فأنا لا أكره الفنانين، بالإضافة إلى ذلك فيبدو أن الرجل له دخل كثير. ولكن أبدًا، هذا مستحيل.

ضحكت أمي وقالت:

- إنك يا كازوكو فتاة غير جيدة. ولكن مع رفضك إلى هذه

الدرجة، فإنك في المرة السابقة تحدثت معه بتأنٍ واستمتاع كبير، أليس كذلك؟ أنا لا أفهم مشاعرك مطلقًا.

- حقًّا! أجل إن الحديث معه ممتع. لقد كنتُ أريد أن أتحدث معه أكثر في أمور عدة. ولكنني لست ذات حصافة، أليس كذلك؟

- بلى، إنك لزجة جدًّا. كازوكو اللزجة.

إن أمي هذا اليوم بصحة جيدة جدًّا.

ثم نظرت إلى قصة شعري الذي رفعته عاليًا اليوم لأول مرة، وقالت:

- رفعتيه اليوم، إن ذلك يناسب الشخص قليل الشعر. إن شعرك العالي أعظم من اللازم، لدرجة أنني أريد أن أجرب وضع تاج من الذهب فوقه. قصة شعر فاشلة.

- يا لخيبة أملي! لقد قلتِ لي يا أمي في إحدى المرات إن عنقي أبيض وجميل ومن الأفضل ألا أخفيه إن استطعتُ إلى ذلك سبيلًا، ألا تتذكرين؟

- بلى، أتذكر هذه الحديث فقط.

- إنني لا أنسى للأبد أي مدح بسيط لي. فمن الممتع تذكره.

- أجل في ذلك اللقاء، لقد مدحك ذلك الرجل، أليس كذلك؟

- بلى. وبسبب ذلك صرت لزجة معه طوال الوقت. قال: عندما تكونين معي يتنزّل علي الإلهام. آه، لا أحتمل. إنني لا أكره الفنانين بصفة خاصة، ولكنني لا أطيق مطلقًا مثل ذلك الرجل الذي يتعالى على الناس وكأنه صاحب مميزات خاصة.

- ماذا عن مُعلّم ناوجي، أي الرجال هو؟

أصابني السؤال بالمفاجأة.

- لا أدري جيدًا، ولكن ما دام مُعلّمَ ناوجي فلا بد أنه سيئ السلوك بوسم.

- وسم؟

همست أمي وبدت المتعة على عينيها وقالت:

- كلمة مشوقة. أليس الموسوم على العكس أدعى للأمان؟ بل لدرجة أنه أمر لطيف مثل هريرة تُدلي جرسًا من عنقها. أنا أخاف من سيئ السلوك غير الموسوم.

- حقًّا؟

كنتُ سعيدة سعادة بالغة، وكأن روحي تنساب من جسدي ويمتصها الهواء مثل الدخان. هل تفهمني؟ هل تعرف لماذا كنتُ سعيدة؟ إن لم تفهم... فسوف ألطمك على وجهك.

ألا تأتي مرة واحدة حقًّا لزيارتي هنا؟ إن طلبت من ناوجي أن يصحبك ويأتي بك إلى هنا، فسيكون طلبًا غريبًا وغير طبيعي، ولذا فمن الأفضل أن تظهر أنت هنا فجأة في نوبة من نوبات سكرك، لا مانع من أن تأتي بمعية ناوجي وإرشاده، ولكن من الأفضل أن تأتي بمفردك، ولذا أرجوك أن تأتي إلى هنا أثناء غياب ناوجي في رحلة إلى طوكيو. فإن ناوجي سيأخذك مني، ومن المؤكد أن تخرجا معًا لشرب خمر الشوتشو عند السيدة أوساكي، ومن المؤكد أن ينتهي الأمر هكذا. على ما يبدو أن عائلتي من جدود جدودي يحبون الفنانين. إن الرسام الذي يُدعى كورين، أقام في الماضي لمدة طويلة في بيتنا في كيوتو، ورسم لنا لوحة رائعة على الفواصل بين الغرف. ولذلك، أعتقد أن من المؤكد أن أمي ستفرح بقدومك. وعلى الأرجح أنك ستنام في الغرفة الغربية بالطابق الثاني. وأرجو ألا تنسى

أن تطفئ مصباح الكهرباء. وسوف أمسك شمعة صغيرة في يدي وأصعد درجات السلم المظلم بأسرع من اللازم.

إنني أحب سيئ السلوك. وأحب أكثر سيئ السلوك الموسوم. ثم إنني كذلك أريد أن أصبح سيئة السلوك بوسم. وأشعر أنني ليس لي سبيل أخرى للحياة غير ذلك. إنك أكبر سيئ للسلوك موسوم في اليابان كلها، أليس كذلك؟ سمعت أخي يقول إنه في الآونة الأخيرة صار كثير من الناس يقولون عنك إنك قذر ومدنس ويهاجمونك بكراهية شديدة، مما جعلني أخيرًا أقع في غرامك. إن كان الأمر بشأنك، فمن المؤكد أنك تملك صديقات متنوعات، ولكنك ستقع في غرامي أنا فقط تدريجيًا منذ الآن وصاعدًا. والسبب أنني أشعر بذلك ولا أستطيع منع نفسي من التفكير كذلك. وأنك سوف تستطيع العمل بمتعة بعد أن تعيش معي كل يوم. منذ صغري والآخرون يقولون لي: «إنني أنسى معاناتي عندما أكون معك»، إنني حتى الآن لم يسبق لي أن جربت إحساس أن يكرهني الناس. الجميع يقولون عني إنني فتاة رائعة. ولذلك أعتقد أنه لا يُفترض مطلقًا أن تكرهني.

يكفي أن نلتقي. فالآن لا ضرورة للرد ولا ضرورة لأي شيء. إنني أريد لقاءك بشدة. على الأرجح أن أسهل طريقة هي أن أذهب أنا للقائك بنفسي في بيتك بطوكيو، ولكن على أي حال فأمي نصف مريضة وأنا أُعَدُّ ممرضتها وفي الوقت نفسه خادمتها التي لا بد من مرافقتها على الدوام، ولذا لا يمكنني الذهاب مهما حاولت. هذا رجاء مني. أتوسل إليك أن تأتي أنت إلى هنا. ثم إذا تقابلنا ستفهم كل شيء. انظر إلى التجاعيد الخفيفة التي نشأت على جانبي فمي. انظر إلى تجاعيد تعاسة

القرن. يُفترض أن وجهي سوف يخبرك بوضوح بمشاعري التي في قلبي أكثر من أي كلمات.

في الرسالة الأولى التي أرسلتها لك، كتبتُ عن قوس قزح المعلق في داخلي، ولكن ذلك القوس ليس جميلًا راقيًا مثل أشعة اليراعات المضيئة أو مثل أشعة النجوم. إن كان بمثل هذه المشاعر البعيدة الخافتة لَمَا جعلني أتألم وأعاني بمثل هذه الدرجة، ولكنتُ أستطيع أن أنسى أمرك تدريجيًّا. إن قوس قزح الذي في صدري، هو جسر من اللهب. مشاعر تجعل صدري يحترق ويتفحّم. فعلى الأرجح أن مشاعر مدمن المواد المخدرة بعد أن تنتهي لديه المواد المخدرة ويطلب الدواء لا تصل إلى هذه الدرجة من الألم. يحدث أحيانًا أن أفكر أنني مع إحساسي أنني لم أخطئ ولم أفعل شرًّا، ولكنني فجأة أقول لنفسي: ألستُ مُقْدِمة على فعل شديد الحماقة والغباء فأُصاب بالرعب الشديد. يحدث كثيرًا أن أقول لنفسي: ألا أكون قد جُننت؟ وأعيد التفكير فيما فعلت. ولكن حتى أنا، يحدث أن أضع خططًا وأفكر ببرود. أرجوك حقًّا أن تأتي إلى هنا. لا مانع من أن تأتي في أي وقت. لأنني لن أذهب إلى أي مكان وأنتظرك دائمًا. أرجوك أن تثق بي.

نلتقي مرة ثانية وإن كنت تكرهني فقل لي ذلك وقتها. إنك أنت من أشعلت تلك النيران التي في صدري، ولذا فأرجو منك أنت أن تطفئها. فأنا لا أستطيع أن أطفئها بقوتي الذاتية وحدها. على أي حال فمجرد أن تقابلني، تقابلني فقط، ستنقذ حياتي. مع أنه لو كنا في العصر الذي كُتب فيه ديوان مان يوشو[1] أو

(1) «مان يوشو»: هو أهم ديوان شعر كُتب في اليابان يتكون من عشرين مجلدًا، ويُعتقد أنه اكتمل في عصر نارا (710 – 794) / المترجم.

في العصر الذي كُتبت فيه رواية سيرة الأمير غِنجي[1]، لم يكن طلبي هذا الذي أطلبه منك شيئًا يُذكر. إنها أمنيتي؛ أن أصبح عشيقتك وأن ألد منك طفلًا.

ثَمّ إن من يضحك ساخرًا من مثل هذه الرسالة، فهو إنسان يسخر من حياة امرأة. إنني لا أصبر على السخرية من حياة امرأة لأنها تشبه الهواء المكتوم في الميناء الذي يخنق الأنفاس ويجعلني أرغب في رفع الشراع والخروج من الميناء إلى عرض البحر حتى وسط عاصفة عاتية. إن الشراع المسترخي قذر بدون استثناء. أنا أعتقد أن الأشخاص الذي يضحكون سخرية من الآخرين كلهم أشرعة مسترخية. لا يستطيعون إنجاز أبسط الأشياء.

امرأة مزعجة. ولكن أكثر من يعاني من تلك المشكلة هو أنا شخصيًا. ما من معنى في أن ينتقد هذه المشكلةَ المتفرجون الذين لا يتألمون منها، وهم يرخون أشرعتهم في قبح. إنني لا أريد أن يقول أحد عني إنني من أتباع هذا الفكر أو ذاك. فلا فكر لي، ولم يسبق لي ولو مرة واحدة أن سلكتُ سلوكًا بناء على فكر.

إنني أعلم جيدًا أن الأشخاص الذي يُمدحون من المجتمع ويُحترمون جميعهم كاذبون، مزيفون. إنني لا أثق في هذا المجتمع. إن سيئي السلوك الموسومين هم فقط من يقف في صفي. سيئو السلوك الموسومون فقط. إنني لا أمانع من الموت معلقةً على ذلك الصليب فقط. حتى وإن انتقدني العالم كله

(1) «سيرة الأمير غنجي»: يُقال عنها إنها أول رواية رومانسية في الأدب العالمي، كتبتها موراساكي شيكيبو في عصر هييان (794 – 1185) عن غراميات الأمير غِنجي، وكانت موراساكي تعيش في القصر الإمبراطوري / المترجم.

فأنا قادرة على الرد عليهم قائلة: أنتم أشد خطرًا لأنكم سيئو سلوك بلا وسم.

أتفهمني؟

ما من سبب للحب. لقد أفرطتُ قليلًا في ذكر حجج واهية. أشعر وكأنني أفرطتُ في تقليد طريقة كلام أخي. إنني فقط أنتظر حضورك إلى هنا. أريد أن ألقاك مرة ثانية. هذا هو الأمر فقط.

أنتظر. آه إن الإنسان أثناء حياته يشعر بمشاعر متعددة، يفرح ويغضب ويحزن ويكره، ولكن المشاعر لا تشغل من حياة الإنسان تلك إلا واحدًا في المئة فقط، ويعيش تسعة وتسعين في المئة من حياته منتظرًا فقط، ألا تعتقد ذلك؟ ينتظر سماع صوت خطوات السعادة، بمشاعر مؤلمة تُدهش قلبه وهو يقول ستأتي الآن، الآن، ويُفاجأ في النهاية بالسراب. إن حياة الإنسان لتدعو للأسى. والواقع أن الجميع يتمنى لو أنه لم يُولد من الأصل. يظل هكذا ينتظر شيئًا ما من الصباح إلى المساء دون نتيجة. شيء يُثير الرثاء الشديد. هل تريد أن تفرح أنك ولدت، وأن تفرح بالحياة وبالعالم وبالمجتمع؟

ألا تستطيع أن تدفع بعيدًا الأخلاق التي تعيق طريقنا؟

إلى السيد *M.C* (ليست الأحرف الأولى من كلمة تشيخوفي، فأنا لا أشتاق إلى روائي، بل هي *My Child* طفلي)

الفصل الخامس

أرسلت في هذا الصيف إلى رجل ثلاث رسائل، ولم يأت رد. لقد ظننتُ بعد طول تفكير أنه ما من طريقة حياة أخرى إلا ذلك، وبسبب أنني كتبت ما في صدري، ومع أنني ألقيت بتلك الرسائل في صندوق البريد بمشاعر من يقفز من أعلى جرف عال إلى البحر في اتجاه الأمواج العاتية، ولكن لم يأت رد مهما انتظرت. حتى وإن سألت أخي ناوجي عن أحوال ذلك الشخص بشكل عرضي، فإنه يقول إن حاله لا يتغير، يشرب الخمر كل ليلة، وفي النهاية يكتب أعمالًا غير أخلاقية، ويبدو أنها تسبب له امتعاض الناضجين في المجتمع، وكراهيتهم له، وعرض على ناوجي أن يبدأ تجارة في عالم النشر، فتحمس ناوجي جدًّا للأمر، أن يجعله هو واثنين أو ثلاثة آخرين من الروائيين مستشارين له، ولا أدري هل هناك من يدفع رأس المال لتمويل المشروع، ولكن عند سماع حديث ناوجي لا تظهر أي علاقة لي بذلك الرجل الذي وقعتُ في غرامه، وكانت مشاعري أكثر من كونها مشاعر خجل. شعرت أن هذا العالم يختلف عمّا أفكر أنا فيه وكأنه حيوان غريب وعجيب، وأنني تُركت وحيدة، ومهما ناديتُ وناديتُ لا استجابة ولا رد، وكأنني أُرغمت على الوقوف في سهول قاحلة في غروب الخريف، فاجتاحتني مشاعر حزن وألم لم أشعر بمثلها من قبل. تُرى هل هذا ما يُسمى تحطم القلب بفقدان الحب؟ وأثناء ذلك وأنا أقف هكذا بلا حركة وسط سهول قاحلة، غربت الشمس تمامًا، وفكرت أنه ليس أمامي إلا الموت متجمدة في ندى الليل، عويل لا تخرج معه دموع، اهتز كتفي وصدري بعنف شديد، وأصبحت لا أقدر على التنفس.

وفوق هذا يجب أن أذهب إلى طوكيو بأي شكل وأن أقابل السيد أويهارا، ارتفع شراعي بالفعل، ولا يمكن أن أظل واقفة، يجب أن أذهب إلى أقصى ما أستطيع الذهاب إليه، وفي اللحظة التي بدأتُ في سرية الاستعداد للذهاب إلى طوكيو، ساءت حالة أمي الصحية. سعلت سعالًا شديدًا طوال الليل، وعندما قستُ لها درجة الحرارة وجدتُ أنها 39 درجة.

قالت أمي بصوت منخفض جدًّا يتخلله السعال:

- هذا لأن الجو بارد اليوم. غدًا ستنخفض الحرارة.

ولكنني كنتُ أرى أنها ليست مجرد نزلة برد، وقررت في نفسي على أي حال أن أطلب من طبيب القرية التي في أسفل الجبل أن يأتي ليراها.

في الصباح التالي، انخفضت درجة الحرارة إلى 37 درجة، وخف السعال فلم تعد تسعل، ومع ذلك ذهبتُ إلى طبيب القرية، وذكرتُ له أن أمي بدأت تضعف مؤخرًا، وارتفعت درجة حرارتها منذ ليلة أمس، وحتى السعال أشعر أنه ليس مجرد سعال بسبب نزلة برد، ورجوته أن يأتي ليكشف عليها. فقال الطبيب حسنًا سأذهب إليها بعد قليل، ثم أخذ ثلاثًا من حبات الكمثرى من رف غرفة الانتظار وأعطاها لي قائلًا: «إن تلك هدايا جاءتني». ثم جاء للكشف وهو يرتدي رداء أبيض وعليه معطف صيفي. وكما هي عادته، كشف عليها بعناية وحرص مستغرقًا وقتًا طويلًا، ثم استدار لي ونظر إليَّ وجهًا لوجه ثم قال:

- لا داعي للقلق. ستشفي بمجرد أن تتناول الدواء.

كنتُ أتمالك نفسي بصعوبة لكتم الضحك من شدة فكاهية المشهد الغريب، وعندما سألته:

- ماذا عن الحقن؟

أجاب بجدية:

- لا حاجة لذلك لأنها على الأرجح نزلة برد، ستنسحب تلقائيًا بمجرد أن ترتاح في هدوء.

ولكن لم تذهب الحمى التي أصابت أمي حتى بعد مرور أسبوع كامل. زال السعال ولكن درجة الحرارة تكون في الصباح 37.7 درجة وعندما يجيء الليل ترتفع حتى 39 درجة. وقد أصيب الطبيب في اليوم التالي بمغص في البطن وتغيب عن العيادة، وعندما ذهبتُ لاستلام الدواء، أبلغتُ الممرضة بحالة أمي الصحية السيئة، وأنني عندما أبلغت ذلك للطبيب، كان رده أنها مجرد نزلة برد ولا داعي للقلق وأعطاها دواء شراب ودواء حبوب مطحونة.

وناوجي في رحلة عمل إلى طوكيو ولم يعد منذ حوالي عشرة أيام. وأنا وحيدة ومن شدة شعوري بالوحدة كتبت بطاقة بريدية إلى خالي وادا أخبره فيها بحالة أمي السيئة.

في اليوم العاشر لإصابتها بالحمى جاء طبيب القرية لرؤيتها بعد أن قال إن حالة بطنه تحسنت.

صرخ الطبيب وهو يكشف على صدر أمي وهو يبدي على وجهه الانتباه العميق:

- فهمتُ. فهمتُ.

ثم قال وهو ينظر إلى وجهي بجدية:

- لقد عرفت سبب الحمى. عندها رشح في الرئة اليسرى. ولكن لا يجب القلق. من المتوقع أن تستمر الحمى لمدة طويلة، ولكن لا داعي للقلق ما دامت محافظة على الراحة والسكون.

وأنا أفكر بقولي أحقًّا هذا؟ كنتُ بمشاعر الغريق الذي يتعلق بقشة، اطمأننتُ قليلًا من تشخيص طبيب القرية.

وبعد أن عاد الطبيب، قلتُ لأمي:

- أمر جيد، يا أمي. مجرد رشح بسيط على الصدر يحدث لأغلب الناس. وإن كنتُ فقط تحملين مشاعر قوية، ستنتهي بدون أي سبب.

من المؤكد أن ذلك بسبب حالة الطقس السيئة التي كان عليها الصيف هذا العام. أنا أكره الصيف. كازوكو تكره زهور الصيف.

ضحكت وهي تغمض عينها، وقالت:

- لأن هناك من يقول إن من يحب زهور الصيف يموت في الصيف، ولذلك أنا كنتُ أعتقد أنني سأموت في حدود صيف هذا العام، ولكنني ظللت حية حتى الخريف بسبب عودة ناوجي إلينا.

وكان الأمر قاسيًا عليَّ، عندما فكرتُ أن حتى ناوجي هذا يمكن أن يصبح سندًا تعتمد عليه أمي لكي تعيش.

- ومع ذلك، لأن الصيف انقضى بالفعل، فهذا يعني أنك يا أمي قد تخطيت وقت الخطر. إن زهرة ليسبيديزا تفتحت في الحديقة. وبعد ذلك زهرة العروس، وزهور المرقئة الطبية، وزهرة الجرس وحشائش السهوب. لقد تحولت الحديقة تحولًا تامًّا إلى الخريف. بالتأكيد ستنخفض الحمى إن جاء شهر أكتوبر.

كنتُ أتمنى ذلك. يا ليت يمر شهر سبتمبر هذا سريعًا، هذا الموسم الذي يُسمّى بواقي الصيف. ثم تتفتح زهور الأقحوان، وتستمر الأيام الصحوة المعتدلة الحرارة، من المؤكد أن الحمى ستزول عن أمي وتستعيد صحتها الجيدة، وربما أصبح أنا أيضًا قادرة على مقابلة ذلك الشخص، وتتفتح خطتي مثل زهرة الأقحوان الدائرية الكبيرة في فخر وروعة. آه، تعال يا شهر أكتوبر سريعًا! يا ليت حمى أمي تنخفض!

مر أسبوع تقريبًا منذ أن أرسلت بطاقة بريدية إلى خالي وادا، جاء السيد مياكي الطبيب العجوز الذي كان يعمل في الماضي طبيبًا للساموراي بمرافقة ممرضة من طوكيو ليكشف على أمي بناءً على طلب من خالي وادا.

وبدا السرور الشديد على وجه أمي لأن هذا الطبيب العجوز كان على معرفة بأبي الراحل. وعلاوة على ذلك، كان ذلك الطبيب سيئ السلوك،

وطريقة كلامه غير مهذبة، ويبدو أن ذلك مما يعجب أمي، وأثناء الكشف في ذلك اليوم، انفرد الاثنان معًا دوني وغرقا في أحاديث الشائعات الاجتماعية بلا كلفة ولا تحفظ. صنعتُ حلوى الفالوذج في المطبخ، ثم حملتها إلى الغرفة، كان من الواضح أن الكشف قد انتهى أثناء غيابي وكان الطبيب العجوز يعلق سماعة الكشف على كتفه مثل القلادة بإهمال، ويجلس على الكرسي الخيزران الذي في ممر الغرفة مستمرًا في حديثه غير مكترث:

- أنا مثلًا أذهب إلى عربات الأكل، وآكل معكرونة الحساء المسماة الأودون منها، لا أهتم إن كانت لذيذة الطعم أو سيئة.

وكانت أمي أيضًا تستمتع إلى هذا الحديث وهي تنظر إلى السقف دون أية تعابير على وجهها. واطمأننتُ أنا أنه ليس بها شيء.

استجمعتُ نشاطي فجأة وسألت السيد مياكي قائلة:

- كيف حالها؟ لقد قال طبيب القرية إن الرئة اليسرى بها بعض الرشح؟

فقال بخفة وكأن ليس بها أي شيء:

- ماذا؟ إنها بخير.

فابتسمتُ وناديتُ على أمي قائلة:

- هذا جيد جدًّا يا أماه.

- أجل يقول إنني بصحة جيدة.

في ذلك الوقت نهض السيد مياكي من فوق كرسي الخيزران فجأة وذهب إلى الغرفة التي على الطراز الصيني. ولكنه بدا أنه يريد مني شيئًا فذهبتُ أنا أيضًا خلفه في هدوء.

ذهب الطبيب إلى ظل الجدار في الغرفة الصينية ووقف وقال:

- إنني أسمع صوتًا غريبًا.

- أليس هذا هو الرشح؟

- كلا.

فسألته بسرعة وأنا على وشك البكاء:

- أليس هو التهاب الشُعب الهوائية؟

- كلا.

لم أكن أريد أن أفكر أنه السل! إن كان التهاب الرئة أو رشح أو التهاب الشعب الهوائية فأنا قادرة بقدرتي الذاتية على علاجه. ولكن إن كان السل، آه، فربما فات الوقت. شعرتُ أن الأرض تنهار تحت أقدامي.

- إنه صوت سيئ جدًّا. أسمعه كأنه يقطع الأعضاء.

بدأت أبكي بكاء خافتًا من شدة الإحساس بالعجز.

- في اليمين وفي اليسار، في الصدر كله.

- ولكن أمي بصحة جيدة! حتى الطعام تأكله وهي تقول لذيذ، لذيذ ...

- ما باليد حيلة.

- هذا كذب، الحال ليس هكذا أليس كذلك؟ من المؤكد أنها ستشفى إن أكلت الزبد والبيض والحليب بشكل كافٍ، أليس كذلك؟ إن قويت مناعة الجسد فقط ستنخفض الحرارة، أليس كذلك؟

- أجل المطلوب أن تأكل كثيرًا ومن جميع الأنواع.

- حقًّا؟ هو كذلك؟ إنها تأكل كل يوم خمس حبات من الطماطم تقريبًا.

- أجل، الطماطم مفيدة.

- إذن هي على ما يرام؟ ستشفى، أليس كذلك؟

- ولكن، من الأفضل أن نتوقع أن هذا المرض ربما يهدد حياتها نفسها.

شعرت أنني أدرك لأول مرة في حياتي بوجود الكثير من جدران اليأس في هذا العالم التي لا تستطيع قوة الإنسان فقط التعامل معها.

سألته بصوت خافت وأنا أرتعش:

- سنتين؟ ثلاث سنوات؟

- لا أدري. ولكن على أي حال ليس بأيدينا شيء لنفعله.

ثم بعد ذلك تحدث السيد مياكي عن أنه حجز للمبيت في نزُل ناغاوكا للينابيع الساخنة في مدينة إيزو، ورحل هو الممرضة من البيت. وأوصلته حتى خارج مدخل البيت، ثم أسرعتُ بالعودة إلى الغرفة التي ترقد فيها أمي وجلستُ بالقرب من وسادتها وضحكتُ لها وكأن شيئًا لم يكن، فسألتني أمي:

- ماذا قال الطبيب؟

- قال إنه بمجرد أن تنخفض الحرارة سيتحسن الوضع.

- وماذا عن الصدر؟

- قال إنه ليس به مشكلة كبيرة. إنه مثل كل مرة تمرضين فيها، هل تتذكرين؟ بالتأكيد. عندما تعتدل درجة الحرارة، سيتحسن صدرك بشكل كبير.

وعزمتُ على أن أصدق أنا نفسي كذبي هذا. وعزمتُ على أنسى كلمة تهدد الحياة المخيفة تلك. كنتُ أشعر أن موت أمي يعني أن يختفي معها جسدي أنا شخصيًا، ولم أستطع مطلقًا تصديق ذلك على اعتبار أنه الحقيقة. وعزمتُ على أن أطبخ لأمي الكثير والكثير من الطعام الجيد الراقي وأجعلها تأكله. أسماك وحساء ومعلبات وكبد ومرق لحم وطماطم وبيض وحليب وحساء الأسماك وحساء الميسو بمطحون الصويا وأرز أبيض وكعكة عجين أرز. كل شيء يبدو لذيذًا، لأبيعن كل ملابسي من الكيمونو الغالي وأصنع طعامًا لذيذًا راقيًا لأمي.

نهضتُ واقفة وذهبتُ إلى الغرفة الصينية، ثم نقلت مقعد الاسترخاء من الغرفة الصينية إلى الحافة المطلة على الحديقة، وجلست عليه حيث يمكن أن أرى وجه أمي. لم يكن وجه أمي وهي راقدة يبدو وجه مريضة على الإطلاق.

كانت عيناها جميلتين وصافيتين، ووجهها يبدو ناضرًا وحيويًا. تستيقظ في الصباح ملتزمة بالقواعد الصحيحة، وتذهب إلى دورة المياه، ثم بعد ذلك تعقد شعرها بنفسها داخل غرفة الحمام الضيقة، وبعد أن تعدل ملابسها في شكل لائق، تعود إلى فراشها وتجلس على الفراش تتناول وجبة الفطار، كما هي، ثم بعد ذلك تكرر النوم والصحيان، وفي فترة الصباح تظل تقرأ الجرائد والكتب، وتظهر عليها الحمى بعد الظهر فقط.

- آه إن حالتك الصحية يا أمي جيدة. لا خوف عليكِ.

قلت لها ذلك وأنا أزيل تمامًا تشخيص الطبيب مياكي من عقلي.

جاء شهر أكتوبر، وفي الوقت الذي تمنيت أن تتفتح زهور الأقحوان، بدأت أغفو قليلًا. وفي الحلم وصلتُ إلى ضفاف البحيرة التي داخل الغابة التي أعرفها جيدًا، مع أنه منظر لم يسبق لي أن شاهدته في الواقع من قبل مطلقًا، إلا أنني كنتُ أشاهده كثيرًا في الأحلام، فقلت: «آه لقد جئتُ إلى هنا مجددًا». كنتُ أسير مع شاب ياباني يرتدي زيًا يابانيًا تقليديًا دون أن نصدر أي صوت. ويغطي ضباب أخضر المشهد بأكمله. ويغرق في قاع البحيرة جسر هش أبيض.

«آه، لقد غرق الجسر. لن نستطيع اليوم الذهاب إلى أي مكان. لنستريح في هذا الفندق. على ما أتذكر، يُفترض أن به غرفًا خالية».

كان فندقًا بُني بالأحجار على ضفاف بحيرة. وتبللت أحجار الفندق تمامًا بالضباب الأخضر. ونُقش فوق البوابة الحجرية بخط ذهبي رفيع اسم الفندق (HOTEL SWITZERLAND). وعندما كنتُ أقرأ (SWI) تذكرتُ أمي فجأة. وتساءلتُ: تُرى ماذا ستفعل أمي؟ تُرى هل ستأتي إلى هذا الفندق؟ ثم دخلت من البوابة مع الشاب، ووصلنا إلى الحديقة الأمامية. تفتحت في الحديقة الضبابية زهور كبيرة حمراء مشتعلة بالحمرة تشبه نبات كوب الماء. في طفولتي عندما كنتُ أنظر إلى تصميم السرير الذي كانت تتبعثر فيه زهور

كوب الماء الحمراء كنتُ أصاب بحزن غريب، ولكنني الآن أفكر أن زهور كوب الماء فاقعة الحمرة موجودة فعلًا في الطبيعة.

- ألا تشعرين بالبرد؟

قلتُ:

- بلى، قليلًا. لقد لمس الضباب أذني، فأذني باردة من الخلف.

ثم سألت وأنا أضحك:

- تُرى ماذا ستفعل أمي؟

وعندها ابتسم الشاب ابتسامة حزينة تمتلئ بالرحمة العظيمة وأجاب قائلة:

- إنها تحت المقبرة.

صرختُ صرخة صغيرة:

- آه.

حقًّا. إن أمي لم تعد موجودة. ألم تنتهِ جنازة أمي منذ فترة طويلة مضت؟ آه، عندما أدركتُ أن أمي قد ماتت بالفعل، ارتجف جسدي بشعور لا يمكن وصفه ثم استيقظت.

كانت الشرفة قد أظلمت بالفعل. وكانت الأمطار تهطل. وينبعث شعور الوحدة الأخضر في المنطقة كلها تمامًا مثلما كان في الحلم.

ناديتُ أمي قائلة:

- أمي.

فجاء رد بصوت هادئ:

- ماذا حدث؟

قفزتُ من الفرحة وذهبتُ إلى غرفة المعيشة.

- لقد كنتُ نائمة حتى الآن.

فضحكت أمي بمرح وقالت:

- حقًّا؟ لقد كنتُ أتساءل ماذا تفعلين كل ذلك الوقت. إنها قيلولة طويلة.

من شدة فرحتي بأن أمي تحيا بأنفاسها الراقية تلك دمعت عيناي من شدة الامتنان.

قلتُ لها بنبرة صوت مهتاجة قليلًا:

- ماذا عن وجبة العشاء؟ هل لك طلب في طعام معين؟

- لا ضرورة. لا أحتاج شيئًا. لقد ارتفعت الحرارة اليوم حتى 39.5 درجة.

أصابتني فجأة صدمة من الكآبة. ثم احترت حيرة شديدة، ونظرتُ بشرود في أرجاء الغرفة المعتمة، وفجأة جاءتني رغبة في الموت.

- لِمَ هذا؟ لا يُعقل أن تكون 39.5 درجة.

- لا شيء البتة. ولكنني أكره الوقت الذي يسبق مجيء الحمى. أحس بألم في رأسي، ويرتعد جسمي من البرد، ثم بعد ذلك تأتي الحمى.

أظلمت الدنيا في الخارج، ويبدو أن الأمطار توقفت، ولكن بدأت الرياح تهب بشدة. أضأتُ المصباح وكنتُ على وشك الذهاب إلى المطبخ، فقالت لي أمي:

- لا تشعلين النور، إن بريقه شديد.

سألتها وأنا واقفة كما أنا:

- ألستِ تكرهين النوم في الظلام؟

فقالت:

- أنا أنام وأنا مغمضة العينين، فالأمر هو نفسه. لا أحس بالوحدة مطلقًا. أنا على العكس أكره شدة الإضاءة. لا تشعلين مصباح هذه الغرفة مطلقًا.

شعرتُ في ذلك بنذير شؤم بالنسبة لي، ولكنني التزمتُ الصمت وأطفأت مصباح الغرفة، وذهبتُ إلى الغرفة المجاورة، وأضأتُ مصباحها، وأحسستُ بوحدة لا تحتمل، فذهبتُ إلى المطبخ مسرعة، وعندما وضعت سمك سالمون معلب فوق الأرز البارد وأكلت منه، نزلت دموعي.

أخيرًا هبت رياح شديدة بعد مجيء الليل، وفي الساعة التاسعة، اختلطت معها الأمطار، وأصبحت عاصفة حقيقية. وأخذتْ ستائر الخيزران التي على حافة الحديقة وكنت رفعتها منذ يومين أو ثلاثة أيام، تصدر صوتًا بسبب ضربات الرياح لها، وكنتُ أنا في الغرفة المجاورة لغرفة المعيشة، أقرأ كتاب روزا لوكسمبورغ «مبادئ علم الاقتصاد» وأنا أشعر باهتياج مريب. لقد جئتُ بهذا الكتاب من غرفة ناوجي في الطابق الثاني، ولكن وقتها، استعرت معه دون إذن مختارات لينين و«الثورة الاشتراكية» لكاوتسكي، ووضعت تلك الكتب جميعًا على مكتبي في الغرفة المجاورة، فجاءت أمي في الصباح لكي تغسل وجهها ثم دخلت غرفتي أثناء عودتها، ومرت بجوار المكتب ثم توقفت عينيها فجأة أمام تلك الكتب الثلاثة، وأمسكت واحدًا تلو الآخر وأخذت تتأملها، ثم تنهّدت تنهيدة خفيفة ووضعتها فوق المكتب برفق، ثم نظرت تجاهي بوجه به إحساس الوحدة. لم يكن في نظرة عينيها تلك مع امتلائها بالحزن العميق أي نوع من الرفض أو الكراهية. إن الكتب التي تقرأها أمي، هي كتب هوجو ودوماس الأب والابن، وميوسه، وديوديه، ولكنني أعرف أن مثل تلك الكتب التي تحتوي على حكايات معسولة تفوح منها رائحة الثورة أيضًا. إن شخصًا مثل أمي ذات التربية الربانية -ربما كانت كلمة غريبة- تستطيع أن تستقبل الثورة على أنها الأمر الطبيعي وليس شيئًا غريبًا أو غير متوقع أكثر من الأشخاص الذين يحملون كتب الثورة هذه. حتى أنا كذلك، أقرأ كتاب روزا لوكسمبورغ، ولكنني لا أعتقد في نفسي أنني مغرورة

أو متصنعة إلا أنه في الوقت نفسه، أشعر بفضول عميق تجاهها. إن المكتوب هنا يُفترض أنه علم الاقتصاد، ولكنني عند قراءته على اعتبار أنه علم اقتصاد، أجده في منتهى الممل. وذلك فقط أمر فهمته فهمًا تامًّا. أو ربما يكون الأمر فقط أنني لا أفهم مطلقًا علم الاقتصاد هذا. ولكن على أي حال هذا الكتاب غير مشوّق مطلقًا بالنسبة لي. إنه علم لا يستقيم إلا على أساس أن الإنسان بخيل في العادة، وأنه يظل بخيلًا إلى الأبد، وبالنسبة للإنسان غير البخيل، لن يكون لديه أي اهتمام بكل تلك الموضوعات من مشكلات توزيع الثروة... إلخ. ولكن مع ذلك عندما قرأت ذلك الكتاب، أحسستُ باهتمام مريب في مكان آخر. وهو أن مؤلفة هذا الكتاب لديها الشجاعة الجريئة لكي تهدم بلا أية حيرة أو تردد، الأفكار التقليدية المعتادة من جذورها. بل لقد تخيلتها امرأة تجري تجاه الشخص الذي تحبه بانتعاش وسرعة، معارضةً أي نوع من الأخلاق. إنها الأفكار التدميرية. التدمير محزن ومأسوي... وجميل. إنه حلم التدمير ثم إعادة البناء واكتماله. ولكن ربما بعد تدميره مرة هكذا لا يكتمل للأبد مرة أخرى، ومع ذلك لأنه حب يشتاق إليه، يجب تدميره. يجب إحداث ثورة. إن روزا تحب الماركسية حبًّا حزينًا مخلصًا.

حدث ما يلي في فصل الشتاء منذ 12 عامًا.

قالت لي صديقة: «أنت مثل فتاة يوميات ساراشينا[1]. فلا فائدة من أي قول».

ثم افترقنا. لقد أعدتُ لتلك الصديقة وقتها كتب لينين دون أن أقرأها.

---

(1) يوميات ساراشينا: هي يوميات كتبتها ابنة تاكاسويه نو سوغاوارا في عصر هيئان (794م - 1185م) وتبدأ اليوميات منذ كان عمرها 13 عامًا وتحكي في البداية رحلة العودة مع والدها الذي أنهى عمله في بلدة كازوسا فعادت العائلة إلى مسقط رأسه في كيوتو، ثم تنتهي اليوميات وهي في الثانية والخمسين من عمرها / المترجم.

- هل قرأتِها؟
- أعتذر لم أقرأها.

كنا على جسر تُرى منه كاتدرائية نيكولاي.

- لماذا؟ ما السبب؟

كانت تلك الصديقة إنسانة جميلة جدًّا، أطول قامة مني بشبر تقريبًا، وتجيد عدة لغات، وتليق عليها قبعة بنمية حمراء، وتشتهر بأن وجهها يشبه الجيوكندا.

- لقد كرهت لون الغلاف.
- إنسانة غريبة. ليس هذا هو السبب، أليس كذلك؟ الحقيقة أنك خفت مني، أليس ذلك؟
- أنا لست خائفة. أنني ... لم أستطع تحمل لون الغلاف.

قالت بصوت به إحساس بالوحدة:

- حقًّا؟

ثم بعد ذلك، وصفتني أنني فتاة يوميات ساراشينا، ثم قررت أنه لا فائدة من قول أي شيء.

ظللنا صامتين لفترة ننظر إلى نهر الشتاء أسفلنا.

قالت:

- كوني بخير. إن كان هذا هو الوداع الأبدي، فكوني بخير إلى الأبد. بايرون.

ثم بعد ذلك قالتْ أشعار بايرون بلغتها الأصيلة وحضنتني حضنًا خفيفًا.

شعرتُ بالخجل فاعتذرتُ لها بصوت خافت وقلت:

- أنا آسفة.

ومشيت تجاه محطة أوتشانوميزو، وعندما التفتتُ للخلف كانت الصديقة كما توقعت باقية كما هي واقفة على جسر النهر تتأملني دون أن تتحرك.

ولم ألتقِ تلك الصديقة بعدها أبدًا. كنتُ أتردد على بيت المعلمة الأجنبية نفسها، ولكنها كانت في مدرسة مختلفة عن مدرستي.

لقد مر 12 عامًا منذ ذلك الوقت، ولكنني كما هو متوقع لم أتطور خطوة واحدة بعيدًا عن يوميات ساراشينا. حسنًا تُرى ماذا كنتُ أفعل طوال تلك المدة؟ فلم أتوق إلى الثورة مطلقًا، ولم أعرف حتى الحب. حتى الآن علمنا البالغين في المجتمع قبل الحرب وأثناء الحرب، أن الحب والثورة أكثر شيء غباء وألمًا، وتشرّبنا نحن ذلك كما هو دون تفكير، وبعد الهزيمة في الحرب، بدأنا نحن لا نثق فيما يقوله البالغون في هذا المجتمع، وشعرنا أن طريق العيش الحقيقي هو فعل العكس تمامًا مما يقولونه، وأن الثورة والحب في الحقيقة هما أفضل شيء في هذا العالم، وأنهما لذيذان، ولأنهما رائعان، فمن خباثة البالغين أنهم كذبوا علينا وعلمونا أنهما مثل العنب المر. هكذا كنتُ أفكر بلا أي شك. إنني أريد أن أتأكد من ذلك؛ من أن الإنسان وُلد من أجل الحب والثورة.

فُتح الباب بهدوء شديد، كانت أمي تُظهر وجهها وهي تضحك ثم قالت:

- أما زلتِ مستيقظة؟ ألا يغالبكِ النعاس؟

وعندما نظرتُ إلى ساعة المكتب كانت الثانية عشرة.

- بلى. لستُ نعسانة البتة. عندما قرأت كتاب الاشتراكية، أحسستُ بالاهتياج.

- حقًّا؟ أما من خمر لدينا؟ في تلك الحالة إن شربتِ خمرًا ثم نمتِ تنعسين وتنامين نومًا عميقًا.

قالت ذلك بنبرة تبدو عليها السخرية، ولكن كان وضعها ذلك يفرق شعرة في مكان ما بين الانحلال والإغراء.

جاء شهر أكتوبر أخيرًا، ولكن السماء ليست سماء الخريف الصحو الجافة، بل استمرت الأيام الحارة الرطبة اللزجة التي تشبه فصل المطر.

فيما يتعلق بحمى أمي، كانت كما هي كل يوم عندما يجيء المساء تتراوح بين 38 و39 درجة.

ثم في صباح أحد الأيام رأيت شيئًا مرعبًا. كانت يدا أمي متورمة. في ذلك الوقت كانت أمي تقول إن وجبة الإفطار هي ألذ وجبة، وتجلس في الفراش وتتناول طبقًا خفيفًا من حساء الأرز وكانت ترفض الأطعمة ذات الرائحة القوية وفي ذلك اليوم أعطيت لها حساء من فطر عش الغراب الراقي، ولكن كما توقعت، حتى رائحة عش الغراب يبدو أنها لا تطيقها، فحملت ذلك الصحن إلى فمها مرة واحدة، ثم أعادته برفق إلى آنية الطعام، ووقتها عندما نظرتُ إلى يد أمي صُدمتُ من الدهشة. انتفخت يدها وأصبحت مدورة مثل الكرة.

- أمي، ألا تؤلمك يدك تلك؟

وبدا وجهها متورمًا وأزرق قليلًا.

- لا أحس بأي ألم. هذا شيء بسيط لا تقلقين عليّ.
- منذ متى ظهر هذا الورم؟

عبس وجه أمي وكأنه سُلطت عليه أشعة شديدة والتزمت الصمت. شعرتُ بالرغبة في البكاء بصوت عالٍ. إن تلك اليد ليست يد أمي. إنها يد امرأة غريبة عني. إن يد أمي يد أكثر صغرًا وأكثر رقة. يد أعرفها جيدًا. يد حنونة. يد لطيفة. تُرى هل ستختفي تلك اليد إلى الأبد؟ كانت اليد اليسرى ليست بالدرجة نفسها من التورم، ولكنها على أي حال تبدو مؤلمة ولم أستطع أن أنظر إليها فأبعدت عيني عنها، وحدقتُ في سلة الزهور التي في ركن الزينة.

كانت دموعي على وشك النزول فلم أعد أحتمل ونهضتُ واقفة، وعندما ذهبتُ إلى المطبخ، وجدت ناوجي وحيدًا يأكل بيضة نصف مستوية. حتى وإن كان يأتي إلى بيت إيزو أحيانًا، فهو بالتأكيد يكون بالليل في محل السيدة أوساكي يشرب خمر الشوتشو، وفي الصباح يكون وجهه مستاء لا يتناول وجبة الإفطار بل يأكل أربع أو خمس بيضات نصف مستوية فقط، ثم يصعد إلى الطابق الثاني ويقضي وقته بين النوم والصحيان.

- لقد تورمت يد أُمِّنا.

أبلغت ناوجي بذلك وأنا مطأطئة الرأس. ولم أستطع أن أُكمل حديثي وبكيتُ وأكتافي تهتز.

التزم ناوجي الصمت.

رفعتُ وجهي، وقلتُ وأنا أمسك بطرف المكتب:

- لقد انتهى الأمر. ألم تنتبه إلى ذلك؟ إن تورمت اليد بذلك الحال فقد انتهى الأمر.

امتقع وجه ناوجي كذلك.

- لقد اقترب الأمر. بالتأكيد. أصبح الوضع بائسًا.

- إنني أريد علاجها. بأي طريقة كانت، أريد أن تُعالج من جديد.

عندما قلتُ ذلك وأنا أعصر يدي اليمنى بيدي اليسرى، بدأ ناوجي يبكي بكاء خافتًا، وأخذ يدعك عينيه بقوة شديدة وهو يقول:

- ألا ترين أن ذلك لن يأتي بنتيجة جيدة؟ ألا ترين أننا لن يأتينا خير؟

في ذلك اليوم أبلغ ناوجي خالي وادا بحالة أمي المرضية، ثم ذهب إلى طوكيو لتلقي تعليمات ما يفعل في القادم من الأيام، وكنتُ أنا في الأوقات التي لا أكون بجوار أمي من الصباح للمساء تقريبًا أبكي دائمًا، حتى عندما

أذهب لتسلم الحليب في الصباح الضبابي، وأنا أصفف شعري أمام المرآة، وأنا أضع أحمر الشفاه. تبرز أمام عيني الأيام السعيدة التي قضيتها مع أمي، هذا الحدث وذلك الحدث، مثل صورة واضحة أمامي فلا أستطيع التحمل مهما بكيت. وفي المساء بعد أن تظلم السماء، أخرج إلى شرفة الغرفة الصينية، وأبكي بكاء خافتًا لوقت طويل. تتلألأ النجوم في سماء الخريف، وتحت أقدامي ترقد هرة الجيران بدون أن تتحرك.

في اليوم التالي ساءت حالة ورم اليد أكثر من اليوم السابق، ولم تستطع تناول أي طعام، حتى عصير البرتقال قالت إنها لا تستطيع شربه بسبب التهاب فمها وتسببه في لسعها.

- أمي، ما رأيك لو وضعتِ القناع الذي قال عليه ناوجي؟

كنتُ أنوي أن أقول ذلك وأنا أضحك، ولكنني أثناء قولي أصبح الأمر قاسيًا فصرخت باكية بصوت عال.

قالت أمي في هدوء:

- أنتِ كل يوم مشغولة وتعبت، أليس كذلك؟ وظفي ممرضة.

ولكنني كنتُ أدرك جيدًا أنها قلقة على جسدي أكثر من قلقها على حالتها هي الصحية، مما زادني حزنًا فوقفت وجريت إلى الحمام الصغير وبكيت بكل ما لدي من قوة.

بعد الظهيرة بقليل، جاء ناوجي ومعه الطبيب العجوز السيد مياكي وممرضتين.

حتى الطبيب العجوز الذي يطلق نكات المزاح دائمًا، في ذلك الوقت، كان يتصرف وكأنه غاضب، ودخل غرفة المريضة على عجل وبدأ الكشف على الفور. وبدون أن يقول أحد شيئًا، قال بصوت خافت:

- لقد أصابها الهزال.

ثم أعطاها حقنة كافور.

سألته أمي وكأنها تهذي:

- أين ستبيت يا دكتور؟

- في ناغاوكا أيضًا. لقد حجزت بالفعل، فلا حاجة للقلق. لا يلزم المريض أن يقلق بشأن الآخرين بل يجب عليه أن يكون أكثر أنانية ويأكل أي شيء، ويجب عليه أن يأكل كثيرًا. تتحسن الحالة الصحية بتناول الغذاء، سوف آتي غدًا مرة ثانية، وسأترك ممرضة معكِ أرجوك أن تعتمدي عليها.

قال الطبيب العجوز ذلك بصوت عال إلى أمي، ثم وقف بعد أن تبادل النظرات مع ناوجي.

ذهب ناوجي بمفرده لتوديع الطبيب والممرضة التي سترافقه، ثم عاد بعد قليل، وعندما نظرتُ إلى وجهه، كان وجهًا يقاوم الرغبة في البكاء.

خرجتُ متسللة خفية من غرفة المريضة وذهبتُ إلى المطبخ.

- لا فائدة؟ أليس كذلك؟

قال ناوجي بفم معوج:

- أمر ممل.

ثم ضحك وأضاف:

- الهزال جاء فجأة بسرعة غبية. قال الطبيب: لا يمكن التوقع، اليوم أو غدًا.

وأثناء قوله ذلك سقطت الدموع من عينيه بوضوح.

وعلى العكس من ذلك قلتُ أنا بهدوء واستكانة:

- تُرى هل يجب أن نفكر في إرسال برقيات إلى الجميع؟

على العكس قال ناوجي بهدوء واستقرار:

- لقد استشرت خالي في ذلك أيضًا، وقال خالي لم يعد هذا العصر هو عصر يمكن فيه تجميع أناس كثيرين. حتى وإن أتوا فسيكون الأمر غير لائق في البيت الضيق، وما من فنادق جيدة بالقرب من هنا، ولا يمكن حجز غرفتين أو ثلاث غرف من نُزُل ناغاوكا للينابيع الساخنة، بمعنى أننا أصبحنا فقراء بالفعل، وانعدمت مقدرتنا على استدعاء هؤلاء القوم من الطبقة العليا. يُفترض أن خالي سيأتي بعد ذلك، ولكنه معروف دائمًا ببخله، ولا يمكن أن نعتمد عليه، وحتى ليلة أمس ظل يقرعني بالوعظ بغض النظر عن مرض أمي. مع أنه ما من إنسان واحد لا في الشرق ولا في الغرب، لا في الماضي ولا في الحاضر استيقظ جراء وعظ من شخص بخيل. فرق بينه وبين أمي، مع أنهما أخت وأخ، إلا أن الفرق بينهما مثل الفرق بين الثرى والثريا، أمر كريه.
- بغض النظر عني ولكن يجب عليك أن تعتمدي على خالنا مستقبلًا...
- مستحيل. من الأفضل لي وقتها أن أصبح شحاذًا. بل على العكس من الآن أنت من سيكون في كفالته، وسوف أطلب منه ذلك.
- أنا لي ...

نزلت دموعي.

- أنا لي مكان أذهب إليه.
- حديث عن زواج؟ هل تقرر ذلك بالفعل؟
- كلا.
- تعيشين بمفردك؟ امرأة عاملة؟ كفي، كفي عن المزاح.
- كلا ليس العيش وحيدة. إنني سأصبح ثورية.
- حقًّا؟

نظر إليّ ناوجي بوجه غريب.

ووقتها أتت الممرضة المرافقة لأمي التي جلبها معه الطبيب مياكي لتناديني.

- يبدو أن سيدتي تريد أن تطلب شيئًا ما؟

ذهبتُ مسرعة إلى غرفة أمي، وجلست بجوار الفراش، وقربتُ وجهها مني وسألتها:

- ماذا؟

ولكن كانت أمي صامتة وعلى وجهها رغبة في قول شيء.

فسألتها:

- ماء؟

ولكنها هزت رأسها هزة خفيفة. يبدو أنها لا تريد الماء.

بعد فترة من الوقت قالت بصوت خافت:

- لقد رأيت حلمًا.

- حقًّا؟ أي حلم؟

- حلم عن الثعبان.

أصابني الفزع.

- ثمة أنثى ثعبان مخططة بخطوط حمراء فوق الأحجار التي تُخلع عندها الأحذية عند حافة الحديقة، أليس كذلك؟ انظري!.

بمشاعر باردة وكأن جسدي قد أصبح ثلجًا، وقفتُ فجأة وخرجتُ ناحية حافة الحديقة، وعندما نظرت من خلال الباب الزجاجي، وجدتُ ثعبانًا فوق الأحجار التي تُخلع عندها الأحذية ممتدًّا بطول كبير تنصب عليه أشعة شمس الخريف. أحسستُ بإغماء وترنحت.

إنني أعرفك. عندما أنظر إليك ذلك الوقت، لقد كبرت قليلًا وشخت فقط، ولكن، أنت ذلك الثعبان الأنثى التي حرقتُ لها بيضها، أليس كذلك؟ لقد عرفت انتقامك حتى النخاع، حسنًا ابتعدي عن هنا. سريعًا اذهبي إلى هناك.

هكذا ظللتُ أصلي داخل قلبي، وأنا أحملق في ذلك الثعبان، ولكن الثعبان لم يحاول أن يتحرك قيد أنملة. لسبب مجهول لم أكن أريد للممرضة أن تراه، ضربت الأرض بقدمي ضربة قوية، وقلتُ متعمدة بصوت مفرط في العلو:

- ما من شيء هنا يا أمي. فالأحلام لا يمكن الاعتماد عليها مطلقًا.

وعندما اختلستُ النظر إلى عتبة خلع الأحذية كان الثعبان يحرك جسمه أخيرًا، ونزل متدليًا من فوق العتبة الحجرية مبتعدًا بتكاسل.

لقد فات الوقت. نفذ الأمر، عندما رأيتُ ذلك الثعبان، نبع اليأس لأول مرة من أعماق قلبي. لقد سمعت أن ثمة ثعبانًا صغيرًا أسود كان بالقرب من وسادة أبي أيضًا وقت وفاته، وكذلك في ذلك اليوم أيضًا رأيت بعيني ثعبانًا يلتف حول شجرة الحديقة.

ويبدو أن صحة أمي التي تجعلها تنهض وتجلس على الفراش قد ذهبت، فهي دائمًا ما تكون في حالة من النعاس المتواصل، وتركت جسمها تمامًا للممرضة المرافقة تعتمد عليها في كل شيء، ثم يبدو أنها أصبحت لا تستطيع أن تضع أي طعام في فمها. ومنذ أن رأيتُ الثعبان، جاء هدوء القلب الذي يخترق قاع الحزن، هل يمكن أصفه بذلك، جاءت مثل تلك الراحة في القلب التي تشبه إحساس السعادة، وفوق ذلك فكرتُ أن أكون فقط بجوار أمي بقدر المستطاع.

وفي اليوم التالي، عندما جلستُ تمامًا بجوار وسادة أمي، أصنع الكروشيه، كنتُ سريعة في عمل الكروشيه أسرع من أي شخص آخر، ولكنني غير بارعة.

ولذلك كانت أمي دائمًا تمسك في يدها تلك الأجزاء غير البارعة وتعلمني واحدة واحدة. لم يكن يومها عندي شعور بالرغبة في عمل الكروشيه، ولكنني مع التصاقي تمامًا بجوار أمي وبدون أن يكون ذلك غير طبيعي، أخرجتُ صندوق الصوف، وبدأت أعمل بالكروشيه وكأنني منهمكة فيه جدًّا.

ظلت أمي تحملق في حركة يدي ثم قالت:

- أنت، تصنعين جوربًا أليس كذلك؟ إن كان الأمر كذلك، فإن لم تزيدي ثمانية أسطر سيكون صعبًا عند الارتداء.

في طفولتي مهما علمتني، لم أستطع أن أصبح ماهرة في الكروشيه، ولكن مثل ذلك الوقت، هكذا كنتُ أشعر بالحيرة والخجل، والشوق إلى تلك الأيام. آه، خطر في بالي أن تلك ستكون آخر مرة تعلمني فيها أمي، أصبحت أخيرًا لا أرى عقدة الكروشيه من الدموع.

عندما تكون أمي نائمة بهذا الوضع، لا يبدو عليها أي شعور بالألم. وبالنسبة للوجبات لم تأكل شيئًا منذ الصباح، بل أبلل شاشًا بشاي أخضر وأضعه في فمها فقط، ولكن وعيها كان حاضرًا، وأحيانًا تتحدث معي في هدوء.

- يبدو أن الجريدة نشرت صورة لجلالة الإمبراطور، أريني إياه مرة ثانية.

وضعتُ ذلك المكان من الجريدة أمام وجهها.

- لقد كبر في العمر.

- كلا، ولكن تلك الصورة سيئة. الصورة في المرة السابقة، كان في منتهى الشباب والحيوية. ويبدو على العكس أنه سعيد بهذا العصر.

- لِمَ؟

- أجل، فحتى جلالته قد تحرر.

ضحكت أمي ضحكة بدت وكأنها تشعر بالوحدة. ثم قالت بعد فترة:

- حتى ولو رغبتُ البكاء فلن تنزل دموعي.

وخطر في ذهني فجأة؛ ألا تشعر أمي الآن بالسعادة؟ ألا يكون شعور السعادة غارقًا في قاع نهر الأحزان، ويتلألأ مثل رمال ببريق خافت؟ إذا كان شعور السعادة هو إحساس العتمة العجيب الذي يتخطى حدود الأحزان، فجلالته أيضًا وأمي كذلك ثم أنا أيضًا؛ كلنا بالتأكيد سعداء الآن. جاء الخريف الهادئ. حديقة الخريف ذات الأشعة الرقيقة. توقفتُ عن الكروشيه، وتأملت البحر الذي يتلألأ عند ارتفاع صدري وقلت:

- أمي، لقد كنتُ حتى الآن جاهلة بالمجتمع.

كان لديَّ الكثير الذي أريد قوله، ولكنني خجلتُ من أن تسمعني الممرضة التي تجهز حقنة الوريد في ركن الغرفة فتوقفت عن قوله.

- حتى الآن ...

ضحكت أمي، ضحكت خافتة وسألت بعتاب:

- حسنًا هل الآن أنت على علم بالمجتمع؟

لسبب مجهول توردت خداي بحمرة فاقعة.

أشاحت أمي بوجهها للجهة الأخرى، وقالت بصوت خافت وكأنها تحدث نفسها:

- لا أعرف المجتمع، إنني لا أفهمه. ولكن هل من وجود لمن يفهم هذا المجتمع؟ إن الجميع أطفال مهما مر الزمن. لا يفهمون أي شيء على الإطلاق.

ولكنني يجب عليَّ أن أعيش. ربما أكون طفلة، ولكنني لن أظل مُدللة فقط. يجب عليَّ أن أحيا وأقاتل هذا المجتمع. آه، ستكون أمي هي الأخيرة وما من شخص آخر مثلها في هذا المجتمع، حيث لا يتصارع مع أحد ولا

يكره أحدًا ولا يحقد، ويستطيع أن ينهي حياته بجمال وحزن مثل أمي. إن الإنسان الذي يذهب إلى الموت جميل. أما الحياة، أو البقاء على قيد الحياة، فإنه أمر قبيح جدًّا، أشعر فيه برائحة الدم وكأنه شيء قذر. جربتُ أن أتخيل أنثى الثعبان التي تحمل بيضها وهي تحفر حفرة فوق حصير التاتامي. لا مانع من الدناءة سأظل على قيد الحياة، وأقاتل المجتمع من أجل تنفيذ ما أفكر فيه. عندما عرفت أخيرًا أن أمي سوف تموت، اختفت تدريجيًّا رومانسيتي وعاطفتي، وشعرتُ أنني بدأتُ أتحول نوعًا ما إلى كائن حي مخادع لا يمكن التهاون معه.

في عصر ذلك اليوم بجوار أمي وعندما كنتُ أبلل لها فمها، توقفت سيارة أمام مدخل البيت. كان خالي وادا قد أسرع خصيصًا إلينا مع زوجته بالسيارة من طوكيو. وعندما دخل خالي غرفة المريضة، وجلس صامتًا بجوار وسادة أمي، أخفت أمي نصف وجهها الأسفل بالمنديل وبدأت تبكي وهي تنظر إلى وجه خالي.

كان وجهها وجهًا باكيًا فقط ولم تنزل من عينيها دموع. كانت تشبه الدمية.

بعد فترة قالت أمي وهي تنظر نحوي:

- أين ناوجي؟

فذهبتُ إلى الطابق الثاني وقلت لناوجي المستلقي على الأريكة الغربية يقرأ مجلة جديدة:

- أمي تريدك.

- ماذا؟ ميلودراما مرة أخرى؟ يا لك من صبورة تتحملين البقاء هناك. إن أعصابك من حديد. أنت متبلدة المشاعر، أليس كذلك؟ إنني أتألم من أي شيء وفي الحال يشتعل قلبي ويضعف جسدي وليس لدي أية قوة نفسية للبقاء بجوارها.

قال ذلك وهو يرتدي المعطف، ثم نزل معي إلى الطابق الأول.

وجلسنا متجاورين بالقرب من وسادة أمنا، وعندها أخرجت أمنا يدها فجأة من تحت الغطاء، ثم أشارت بإصبعها في صمت تجاه ناوجي، ثم أشارت بإصبعها تجاهي، ثم بعد ذلك وجهت وجهها ناحية خالي وادا، ثم ضمت كفيها إلى بعضهما.

أومأ خالي إيماءة كبيرة وقال:

- آه، لقد فمهتُ، لقد فهمتُ.

ويبدو أن أمي اطمأنت فأغمضتُ عينيها قليلًا، ثم أدخلت يديها برفق داخل الغطاء.

بكيتُ أنا وطأطأ ناوجي برأسه لينتحب.

وعندها جاء الطبيب العجوز مياكي من نُزُل ناغاوكا، وأعطاها حقنة مؤقتًا. ويبدو أن أمي بعد أن استطاعت رؤية خالي وادا لم يعد لديها شيء تحزن عليه فقالت:

- أرجوك يا دكتور أرحني بسرعة.

نظر الطبيب وخالي إلى بعضهما، في صمت، ثم لمعت الدموع في عيونهما.

نهضتُ واقفة وذهبت إلى المطبخ، وصنعتُ معكرونة أودون المسماة «كيتسونه» التي يحبها خالي، صنعتُ منها ما يكفي أربعة؛ ليأكل معه الطبيب وناوجي وزوجة خالي، وحملت الوجبات الأربع وذهبها بها إلى الغرفة الصينية، ثم بعد ذلك أريت أمي السندوتشات التي أحضرها خالي هدية من فندق مارونوؤتشي، ووضعتُها بجوار سريرها فقالت أمي بصوت منخفض:

- من المؤكد أنهم مشغولون.

تحدث الجميع معًا لبعض الوقت، في الغرفة الصينية، ويبدو أن ثمة أمر عاجل يستلزم من خالي وزوجته أن يعودا إلى طوكيو هذه الليلة، فأعطاني ظرفًا به مبلغ من المال، وتقرر أيضًا أن يعود السيد مياكي مع الممرضة،

وذكرت للممرضة التي سترافق أمي العديد من طرق العناية بها، فما زال وعيها متيقظًا، وقلبها كذلك لم يبلغ مرحلة سيئة، وبمجرد إعطائها حقنًا ستكون صحتها مستقرة لأربعة أو خمسة أيام، ولذلك رحل الجميع بالسيارة إلى طوكيو هذا اليوم.

ودعتُ الجميع، وعندما ذهبتُ إلى الغرفة، ضحكت أمي لي أنا فقط ضحكة حميمية وقالت:

- لقد أشغلوكِ جدًّا.

قالت ذلك بصوت وكأنها تهمس. وعلى العكس كان وجهها ذلك يبدو متألقًا ونابضًا بالحياة. وفكرتُ أنها على الأرجح كانت مسرورة من لقائها مع خالي.

- كلا.

أنا أيضًا ضحكتُ بمشاعر سرور.

ثم كانت تلك هي آخر كلمات نطقت بها أمي.

بعد ذلك بثلاث ساعات فقط، ماتت أمي. في مساء خريفي هادئ، قاست الممرضة نبضها، وراقبها من الأهل أنا وناوجي فقط. أمي الجميلة آخر نبيلة من نبيلات اليابان.

لم يتغير وجهها الميت مطلقًا. في وقت موت أبي، تغير لون وجهه قليلًا، ولكن وجه أمي لم يتغير مطلقًا، بل مجرد أن التنفس قد توقف فقط. وحتى توقف التنفس كان في غفلة من الزمن لدرجة أني لم ألاحظه. انتفاخات الوجه أيضًا، اختفت منذ اليوم السابق، وأصبح الوجه ناعمًا مثل الشمع، والشفتين النحيفتين، برزتا قليلًا للأمام واعوجا وبدا أنهما يحملان ابتسامة خفيفة فكانت أكثر فتنة وجاذبية من أمي وهي على قيد الحياة. حتى أنني فكرتُ أنها تشبه «مريم بِيتّا».

الفصل السادس

بدء القتال.

لم أستطع أن أغرق في الحزن بلا نهاية، فلقد كان ثمة ما يجب القتال بشأنه مهما حدث. الأخلاق الجديدة. كلا، إن قلت ذلك فسيبدو نفاقًا. الحب، لعله فقط الحب. مثلما كانت روزا لا تستطيع العيش إلا من خلال علم اقتصاد جديد، فأنا الآن، لا أستطيع العيش إن لم أجد حبًّا واحدًا. أنا لا أفهم لِمَ يكون «العشق» سيئًا و«الحب» حسنًا؟ إنني لا أشعر إلا أنهما الشيء نفسه. من الذي يقدر أن يُهلك النفس والجسد كليهما في جهنم من أجل ذلك الحب الذي لا أفهمه، من أجل العشق، من أجل ذلك الحزن؟ آه، إنني أنا ذاتي أريد أن أؤكد على ذلك فقط.

جرت مراسم جنازة أمي في إيزو للعائلة فقط بمساعدة أسرة خالي، وانتهت مراسم الجنازة الأصيلة في طوكيو، وبعدها أنا وناوجي، كنا نقيم في بيت إيزو الجبلي إقامة كئيبة فلا نتحدث سويًّا حتى وإن نظر كل منا إلى وجه الآخر، وبحجة تمويل ناوجي في عمله في مجال النشر، أخذ كل مجوهرات أمي، وبعد أن تعب من الشرب في طوكيو، عاد إلى بيت إيزو الجبلي بوجه شاحب شحوبًا شديدًا مثل المرضى، لينام، وأحيانًا يأتي مصطحبًا امرأة تشبه الراقصات، حتى أن ناوجي كان يشعر بالحرج إزاءها.

- هل يمكن أن أذهب اليوم إلى طوكيو؟ أريد أن أذهب لزيارة أحد أصدقائي بعد غياب طويل. وسأعود بعد ليلتين أو ثلاث ليالٍ؛ وأثناء ذلك تتولى أنت حراسة البيت، ومن الممكن أن تطلب من

تلك المرأة أن تصنع لك الوجبات.

وبمهارة أمسكتُ بنقطة ضعفه، أي أنني كنتُ حكيمة مثل الحية، فوضعتُ في حقيبتي مساحيق التجميل وخبزًا وغيرهما، واستطعت الذهاب إلى طوكيو بشكل طبيعي لمقابلة ذلك الرجل.

لقد سمعتُ من ناوجي ذلك من قبل في إحدى المرات، فبيت ذلك الشخص الجديد بعد الحرب العظمى يقع في ضواحي طوكيو، على بعد 20 دقيقة تقريبًا من المدخل الشمالي بعد النزول من القطار في محطة أوغيكوبو بخط سكة حديد الضواحي.

كان يومًا تهب فيه الرياح الشتوية الباردة بقوة. وفي الوقت الذي نزلتُ فيه في محطة أوغيكوبو، كان الظلام المعتم قد بدأ يخيم على المكان بالفعل، فأوقفتُ أحد المارة، وذكرتُ له عنوان بيت ذلك الرجل، فأرشدني إلى اتجاه الطريق، وبعد أن ضللتُ لمدة تقترب من الساعة في الطرقات المظلمة، ومن شدة وحدتي سقطت مني الدموع، وتعثرت في حجر من أحجار الطريق المعبد بالحصى، فانقطعت أنف القبقاب الخشبي، فوقفتُ محتارة فيما أفعل، وفجأة برزت في عتمة الظلام لعيني لافتة بيضاء مغبشة لبيت من بيوت الإيجار على اليمين، وشعرت أنه كُتب عليها اسم أويهارا، فاقتربتُ من مدخل ذلك البيت، وأنا أمشي بإحدى قدمي بالجورب بدون قبقاب، وعندها نظرتُ إلى اللافتة جيدًا، فوجدتها فعلًا كُتب عليها جيرو أويهارا، ولكن البيت كان في الداخل مظلمًا.

توقفتُ مجددًا للحظة أتساءل ماذا أفعل؟ وبمشاعر إلقاء روحي في التهلكة، اقتربتُ من المدخل وكأنني أنبطح على باب سوره الشبكي وقلتُ:

- هل من أحد هنا!

ثم همستُ بصوت خافت وأنا أمسح بأنامل يديَّ على الباب:

- يا سيد أويهارا!

فجاء الرد. ولكنه كان صوت امرأة.

فُتح الباب من الداخل، سألتني امرأة تكبرني بثلاثة أعوام أو أربعة، وذات وجه نحيل تفوح منه رائحة عتيقة وهي تضحك ضحكة خاطفة قائلة:

- من الطارق؟

ولم يكن في نبرة صوتها سوء نية ولا حذر.

ولكنني أضعتُ فرصة إخبارها باسمي فقلت:

- كلا ولكن ...

فقد شعرتُ تجاه تلك المرأة بالذات بتأنيب الضمير بسبب حبي، مع رعب منها وفي الغالب إحساس بالوضاعة.

- هل الأستاذ، غائب عن البيت؟

أجابت وهي تنظر بشفقة إلى وجهي:

- أجل، ولكنه ذهب إلى ...

- مكان بعيد؟

قالت وهي تضع يدها على فمها في استغراب:

- كلا، إن ذهبتِ إلى أوغيكوبو، محل الأودِن أمام المحطة المسمى شيرايشي فعلى الأرجح ستعرفين أين هو.

قلتُ بمشاعر تطير من الفرحة:

- حقًّا؟

- ما هذا؟ إن قبقابك ...

دخلتُ المدخل بعد أن دُعيتُ إلى ذلك، وأجلستني على الأرضية الخشبية المرتفعة بعد المدخل، أعطتني الزوجة حبلًا مصنوعًا من الجلد يمكن خياطته بسهولة بديلًا عن أنف القبقاب التي انقطع، تُرى هل يمكن أن يُسمى أنف قبقاب مبسَّطًا؟ فأصلحتُ القبقاب، وأثناء ذلك أتت الزوجة بالشموع لتشعل المدخل وهي تقول:

- لسوء الحظ لقد احترقت اللمبتان اللتان تضيئان المدخل، ألا ترين أن

اللمبات الكهربائية مع أنها غالية غلاء فاحشًا فإنها سهلة الاحتراق؟ أمر مزعج! لو كان زوجي هنا لذهب لشراء لمبات جديدة، ولكنه لم يعد للبيت ليلة أمس ولا ليلة أول أمس، وأنا أثناء تلك الليالي الثلاث أنام أنا مبكرةً لأنني لا أملك فلسًا واحدًا.

كانت تضحك من قلبها بدون أية مبالاة. كانت تقف خلف الزوجة طفلة في الثانية أو الثالثة عشرة من عمرها بعينين كبيرتين، تشعرك بأنها نادرًا ما تألف الغرباء.

عدو. أنا لا أعتقد ذلك، ولكن لا شك أنه سيأتي اليوم الذي تكرهني هذه الزوجة وتلك الطفلة لأنني عدوة لهما. إن فكرتُ في ذلك، أحسستُ بأن عشقي قد برد تمامًا، فبدلت أنف القبقاب وضربتُ كفيَّ بعضهما ببعض لأزيل الأتربة منهما، وأنا لا أتحمل أثر الوحدة التي اقتربت فجأة وأحاطت بجسمي، ففكرتُ أن اقترب من غرفة المعيشة، وأمسك بيد الزوجة في الظلام وأبكي. سقطتُ في حيرة شديدة، ولكنني فجأة، فكرتُ في هيئتي بعد ذلك إذ ستكون كاذبة ومنفرة وليس لها شكل يمكن رؤيته، فكرهت ذلك، ثم انحنيتُ لها انحناءة شديدة بأدب القرود، وقلت:

- شكرًا لك.

وخرجتُ من البيت، ورياح الشتاء الباردة تلفح جسمي، قتال، بداية، أعشق، أحب، أشتاق، أعشق حقًّا وصدقًا، أحب حقًّا وصدقًا، أشتاق حقًّا وصدقًا، ليس بيدي حيلة لأنني أحن إليه، ليس بيدي حيلة لأنني أحبه، ليس بيدي حيلة لأنني أشتاق له، بالتأكيد تلك الزوجة صالحة وهذا شيء نادر، وهي كذلك جميلة، ولكنني حتى وإن وقفتُ على منصة الاتهام في محكمة الإله، فلا أعتقد أن لديَّ أي شعور بالذنب مطلقًا، فالإنسان قد وُلد من أجل الحب والثورة، وما من افتراض أن يعاقبه الإله على ذلك، وما من ذرة خطأ في أفعالي، فأنا أتفاخر بشدة لأنني أحبه حقًّا وصدقًا، قد أتوقف حتى ألقي عليه

نظرة واحدة، وإن قضيتُ ليلتين أو ثلاثًا في العراء.

عثرت على الفور على محل الأودن المدعو شيرايشي أمام المحطة، لكنه لم يكن هناك.

- من المؤكد أنه في أساغايا. اذهبي من البوابة الشمالية لمحطة أساغايا وسِيري في خط مستقيم، أجل... بعد ذلك... بمسافة مئة وخمسين مترًا تقريبًا، تجدين محل بيع أدوات حديدية، انعطفي هناك يمينًا، حوالي ثمانين مترًا، تجدين مطعمًا صغيرًا باسم ياناغيا، فالأستاذ حاليًا على علاقة حارَّة مع بنت في المحل تُسمى أوسوتي، لا يفترقان مطلقًا، إنني لا أقدر على فعل ذلك.

ذهبتُ إلى المحطة، واشتريت تذكرة، وركبت قطار الضواحي المتجه إلى طوكيو، ونزلتُ في محطة أساغايا، ومشيت 150 مترًا تقريبًا من البوابة الشمالية، ومن محل بيع الأدوات الحديدية انعطفت يمينًا ومشيت 80 مترًا تقريبًا، كان محل ياناغيا هادئًا تمامًا.

- لقد غادر لتوه حالًا. مع عدد كبير، قالوا إنهم سيذهبون إلى محل تشيدوري في نيشيوغي ويشربون حتى الصباح.

كانت أصغر مني عمرًا، وهادئة، وراقية، تُرى هل تلك هي أوسوتي تلك التي على علاقة حارة معها؟

- تشيدوري؟ في أي مكان من نيشيوغي؟

كنتُ في حالة بائسة ودموعي توشك على النزول؟ وجاءني فجأة شعور بالتساؤل ألستُ الآن في حالة من الجنون؟

- لا أعلم جيدًا. ولكن على أي حال بعد النزول من محطة نيشيوغي، يقع على الجهة اليسرى من البوابة الجنوبية، إن سألت عن نقطة الشرطة، أعتقد أنك سوف تعرفين. فمهما كان فإنه شخص لا يكتفي بمحل

واحد، وربما قبل أن يصل إلى محل تشيدوري يذهب إلى محل آخر.

- سأجرب الذهاب إلى تشيدوري، الوداع.

مرة أخرى أعود للخلف. من أساغايا ركبت قطار الضواحي، الذاهب إلى محطة تانشيكاوا، وأوغيكوبو، ونزلت في محطة نيشي أوغيكوبو وخرجتُ من البوابة الجنوبية، ومشيتُ في الطريق تدفعني رياح الشتاء الباردة إلى أن عثرتُ على نقطة الشرطة وسألت عن اتجاه محل تشيدوري، وبعد ذلك مشيت وكأنني أركض في الطريق الليلي الذي وُصف لي، وعثرت على قنديل أزرق عتيق كُتب عليه تشيدوري، وفتحت بابه دون تردد أو حيرة.

مدخل لخلع الأحذية، وبعده مباشرة غرفة بحجم ستة من حصيرات التاتامي، تمتلئ بدخان السجائر، يحيط عشرة أشخاص تقريبًا بمائدة الغرفة الكبيرة، ويشربون الخمر في جلبة وضوضاء عظيمتين. ويمتزج معهم ثلاث فتيات أصغر عمرًا مني، تدخنَّ وتشربن الخمر.

وقفت عند المدخل، وأدرت بصري إلى أن عثرتُ عليه، فأصبحتُ وكأنني أرى حلمًا، كان مختلفًا تمامًا. ستة أعوام مضت، لقد أصبح وكأنه شخص آخر تمامًا.

تُرى هل هذا الشخص حقًّا هو هدف حياتي، قوس قزحي، (M.C)؟ كان الشعر الأشعث كما هو في الماضي، ولكنه أصبح أخف وصار لونه بنيًّا بشكل محزن، وشحب وجهه بلون أصفر، والتهبت عيناه بحواف حمراء، وسقطت أسنانه الأمامية، ويتحرك فمه كأنه يمضغ بلا توقف، ويجلس في ركن الغرفة متكور الظهر كأنه قرد عجوز.

توقفت عينا إحدى الفتيات عليَّ، وأعلمت الأستاذ أويهارا بعينيها أنني جئت. مد ذلك الرجل عنقه الطويل الرفيع وهو جالس كما هو، ونظر إليَّ، وبلا أية تعابير على ملامحه، أعطاني إشارة بِفَكِّهِ بالدخول. وبدا أن الجمع

لا يبدي تجاهي اهتمامًا مستمرين في الصخب والضوضاء ومع ذلك أفسح كل منهم المجلس شيئًا فشيئًا وصنعوا لي مجلسًا بجوار اليد اليمنى للسيد أويهارا.

جلستُ صامتة. وصب لي السيد أويهارا كوبًا يمتلئ على آخره بالخمر، ثم أضاف الخمر إلى ما في كوبه أيضًا، وقال بصوت مبحوح وخفيض:

- نخبك.

تلامس الكوبان بضعف وصدر عنهما صوت اصطدام حزين.

قال أحدهم: جيلوتين، جيلوتين، شوروشوروشو، وردًّا على ذلك قال آخر: جيلوتين، جيلوتين، شوروشوروشو، ثم تقارعت الأكواب بصوت عال وشربوا منها. وتسارعت الأصوات بترديد تلك الأغنية التافهة جيلوتين، جيلوتين، شوروشوروشو، جيلوتين، جيلوتين، شوروشوروشو وهم يقارعون الأكواب ثم يشربون الأنخاب. كان الأمر يبدو وكأنهم يريدون من خلال هذا النغم البالغ في الهزل أن يحفزوا أنفسهم على دفع ذلك الخمر عنوة إلى أفواههم وابتلاعه.

- حسنًا، أستأذنكم.

يقول ذلك أحدهم ويرحل مغادرًا، فإذا بزائر جديد يأتي داخلًا المحل بتباطؤ، فينحني برأسه فقط للسيد أويهارا ثم يندمج مع الجمع.

- يا سيد أويهارا، هناك، يا سيد أويهارا، هناك، آه، مكان يُسمى آه، تُرى كيف يمكن أن أصفه؟ هل يمكن القول: آ، آ، آ؟ أم يُقال آآ، آ؟.

مال أحدهم وهو يقول ذلك، إنه فوجيتا الممثل المسرحي الجديد فعلًا، أنا أتذكر أنني رأيت وجهه المسرحي ذلك من قبل.

قال السيد أويهارا:

- تقول: آآ، آ. مثال على ذلك آآ، آ إن خمر محل تشيدوري رخيص السعر.

قالت الفتاة:

- لا تفكر إلا في النقود.

قال رجل شاب وسيم:

- عصفوران يباعان بفلس، أهذا غالٍ أم رخيص؟

فقال شاب آخر:

- إن المسيح كان في الواقع في منتهى الدقة فيما يتعلق بالحساب فثمة كلمة في الإنجيل تقول: لا تخرج حتى توفي الفلس الأخير، وثمة مثال في منتهى التعقيد يصل بالأمر إلى: فأعطى واحدًا خمس وزنات، وآخر وزنتين، وثالث وزنة، كلٍّ على قدر طاقته.

وقال رجل آخر:

- وعلاوة على ذلك فقد كان شاربًا للخمر. وعندما فكرت أن الأمثلة عن الخمر كثيرة في الإنجيل، كما هو متوقع تمامًا، انظر! إنه مسجل في الإنجيل نقدًا لمن يفضل الخمر. ليس من يشرب الخمر، ولكن لأنه يقول من يفضل الخمر، فلا شك أنه كان سكيرًا عتيدًا. على الأرجح أنه كان يشرب لترًا أو لترين.
- امتنع، امتنع. آه، آ، إنكم تخافون مخالفة الأخلاق، فلا تستخدموا يسوع في هذا. هيا نشرب يا تشي تشان. جيلوتين، جيلوتين، شوروشوروشو.

ثم قرع السيد أويهارا كوبه بقوة مع أجمل فتاة بينهن وشرب دفعة واحدة، وتقاطرت الخمر من الكوب المربع، وتبلل فكه، أخذ يمسحه براحة يده بعنف وهو متعكر منه، ثم بعد ذلك، استمر يعطس عطسًا ضخمًا لخمس أو ست مرات.

وقفتُ بهدوء، وذهبت إلى الغرفة المجاورة، وسألتُ المالكة التي بدت شاحبة الوجه ومريضة عن دورة المياه، وفي طريق العودة عندما مررتُ على الغرفة نفسها كانت أجمل فتاة بين الفتيات التي تسمى تشي تشان تقف وكأنها تنتظرني، ثم قالت بألفة وهي تضحك:

- ألا تحسين بالجوع؟

- بلى. ولكنني أحضرتُ معي خبزًا.

- ما من شيء هنا.

قالت ذلك المالكة التي تبدو مريضة، وهي تجلس متهالكة بجسمها على جنبها، وتُقرب منها موقد التدفئة الطويل.

- كلي وجبتك في هذه الغرفة. إن جلست وسط هؤلاء المحبين للشرب، لن تستطيعي أكل شيء طوال الليل. اجلسي هنا. وأنا معك.

نادى الرجل المجاور لنا:

- يا كينو! نفد الخمر.

- أجل، أجل.

هكذا ردت تلك العاملة التي تُدعى كينو والتي ترتدي كيمونو أنيقًا مخططًا، وهي تخرج من المطبخ واضعة عشرة قناني خمر فوق آنية.

فأوقفتها المالكة قائلة:

- انتظري.

ثم قالت وهي تضحك:

- ضعي اثنين هنا.

- ثم بعد ذلك يا كينو تشان، اذهبي بأقصى سرعة إلى مطعم سوزويا في الخلف، وأحضري وجبتي أودون.

جلسنا أنا وتشي تشان متجاورين بجانب مدفئة الفحم الطويل ومددنا

أيادينا ناحية المدفئة.

- اجلسي على الوسادة. فلقد أصبح الجو في منتهى البرودة. ألا تشربين؟

صبت المالكة من قنينة الخمر في كوب الشاي الخاص بها، ثم بعد ذلك صبت الخمر في كوبين آخرين.

وهكذا أخذنا نحن الثلاثة نشرب في صمت.

- إن الجميع أقوياء.

لسبب ما كانت نبرة صوت المالكة حزينة.

سمعنا صوت فتح الباب الخارجي للحانة، وسمعنا صوت شاب يقول:

- لقد أحضرتها يا أستاذ.

- على أي حال، فإن رئيس شركتنا، أصيب بخيبة أمل، ظل يساوم قائلًا عشرين ألف ين، حتى رضى في النهاية بعشرة آلاف ين.

قال الأستاذ أويهارا بصوته المبحوح:

- بشيك مصرفي؟

- كلا نقدًا. أعتذر لك.

- حسنًا، سأكتب لك إيصال الاستلام.

أثناء ذلك كانت أغنية الأنخاب جيلوتين، جيلوتين، شوروشوروشو متواصلة بين الحاضرين بلا انقطاع.

سألت المالكة تشي تشان بوجه جاد:

- أين السيد ناو؟

ولقد دُهشتُ جدًّا.

فقد أجابت تشي تشان وهي مرتبكة وتوردت وجنتها الفاتنة:

- لا أعلم. فأنا لست الحارسة على السيد ناوجي.

قالت المالكة بهدوء:

- ألم يحدث في تلك الأثناء شيءٌ ما لا داعي له بينه وبين الأستاذ أويهارا؟ مع أنهما كانا دائمًا معًا.

- لقد قال إنه أصبح يجب الرقص أكثر. على الأرجح أن له حبيبة راقصة.

- يا للسيد ناوجي! فوق الخمر نساء أيضًا، ولذا فنهايته سيئة.

- لأنه تلميذ نجيب للأستاذ.

قالت المالكة ذلك بهدوء.

- ولكن ناوجي موقفه أسوء. هذا الطفل المدلل الذي انهار ...

- ممكن كلمة؟

تدخلتُ في الحديث وأنا أبتسم لأنني اعتقدتُ أن صمتي ربما يكون على العكس مسيئًا لهما.

- أنا أخت ناوجي الكبرى.

بدا أن المالكة دُهشت بشدة، فأعادت النظر إلى وجهي مجددًا، ولكن تشي تشان قالت بطبيعية وهدوء:

- صحيح أن وجهكما فيه شبه كبير. عندما رأيتك تقفين عند مدخل المحل المظلم، اندهشتُ من المفاجأة، فلقد اعتقدتُ أنك ناوجي.

غيّرت المالكة من نبرة حديثها وقالت:

- هل حقًّا هو كذلك؟

- يا لها من معاناة أن تأتي لمثل هذا المكان القذر غير المرتب، حسنًا، وهل كنتِ تعرفين السيد أويهارا من قبل؟

- أجل، قابلته منذ ست سنوات...

تعثرت الكلمات على لساني وأوشكت الدموع على النزول.

ثم أتت العاملة بالأودن وقالت:

- آسفة على التأخير.

عزمت المالكة عليَّ قائلة:

- تفضلي قبل أن يبرد.
- شكرًا لك سآكل.

ارتفع بخار الأودن وطرق وجهي، وأكلته ببطء، وأحسستُ أنني أتذوق الحد الأقصى من طعم الوحدة والعزلة التي أعيش فيها حاليًّا.

جاء السيد أويهارا إلى غرفتنا وهو يدندن بصوت خفيض جيلوتين، جيلوتين، شوروشوروشو، جيلوتين، جيلوتين، شوروشوروشو، وجلس بجواري متربعًا وأعطى المالكة مظروفًا كبيرًا في صمت.

- هذا فقط، لا تحاول المراوغة في المبلغ الباقي.

قالت المالكة ذلك وهي تضع المظروف في درج المدفأة دون أن تنظر إلى محتواه.

- سأحضره بالتأكيد. موعد دفع المبلغ الباقي العام القادم.
- ما هذا القول!

عشرة آلاف ين. إن هذا المبلغ يمكنه شراء عدد من اللمبات الكهربائية، أليس كذلك؟ حتى أنا إن كنت أملك هذا المبلغ أستطيع العيش لمدة عام كامل في راحة.

آه، إن هؤلاء الناس مخطئون في أمر ما. ولكن هؤلاء الناس مثل حالة حبي تمامًا، ربما لا يستطيعون العيش بدون ذلك. مادام الإنسان قد وُلد في هذا العالم، فإن عليه أن يعيش حياته حتى منتهاها، ومنظر هؤلاء الناس هذا من أجل الاستمرار في الحياة حتى النهاية، ربما لا يجب أن يُوجَّه إليهم المقت أو الكره. عيش الحياة. عيش الحياة. آه، يا له من عمل ضخم يجعل الأنفاس تتقطع والمشاعر لا تطاق!

قال شاب في الغرفة المجاورة:

- على أي حال. من أجل العيش في طوكيو من الآن فصاعدًا، إن لم تستطع إلقاء تحية يوم سعيد في تلقائية وخفة وهدوء فلن تستطيع الاستمرار. إن مطالبتنا بالمشاعر الحميمة والإخلاص ومثل تلك الأخلاقيات بمثابة عرقلة الأقدام وخنق العنق. مشاعر حميمة؟ إخلاص؟ أف. إن تلك الأمور فيها مصرعنا، أليس كذلك؟ إن حدث ولم تستطع قول يوم سعيد بخفة، فليس أمامك إلا ثلاثة طرق. الأول أن تعود إلى قريتك. والثاني أن تنتحر. والثالث أن تصبح عالة على امرأة تنفق عليك.

قال رجل آخر:

- المسكين الذي لا يستطيع العمل ليس أمامه إلا الحل الأخير فهو وسيلته الوحيدة.
- أو التطفل على جيرو أويهارا والإفراط في الشرب بصحبته.

جيلوتين، جيلوتين، شوروشوروشو، جيلوتين، جيلوتين، شوروشوروشو

قال السيد أويهارا بصوت خفيض وكأنه يحدث نفسه:

- ما من مكان تبيتين فيه، أليس كذلك؟
- أنا؟

انتبه وعيي إلى ثعبان يلف عنقه حول جسمي أنا شخصيًا. إنه شعور بالعداوة. مشاعر تقترب من ذلك جعلت جسمي يتصلب في جمود.

همس السيد أويهارا بلا مبالاة بغضبي:

- هل تستطيعين النوم مع جمع كبير؟ الجو في غاية البرودة.

قالت المالكة متدخلة في الحوار:

- مستحيل طبعًا.

قرقعت تشي تشان بلسانها تجاه أويهارا معبرة عن الاستياء:

- يا لها من مسكينة!
- إن كان الأمر كذلك فما كان لها أن تأتي إلى هذا المكان.

التزمتُ الصمت. لقد قرأ ذلك الرجل خطابي بكل تأكيد. ثم لاحظتُ من كلمته تلك أنه يحبني أكثر من أي إنسان آخر.

- ما باليد حيلة، هل يمكن أن نحاول الطلب من السيد فوكوي؟ يا تشي تشان، ألا تصحبيها معك؟ كلا، امرأتان فقط ربما كان الطريق خطرًا عليهما. أمر مزعج حقًّا. أرجو أيتها المالكة أن تضعي قبقاب تلك المرأة عند الباب الخلفي في سرية. سأوصلها أنا ثم أعود.

كان الجو في الخارج يسيطر عليه طيف الليل العميق. خفت الرياح إلى حد ما، وتتلألأ العديد من النجوم في السماء. وتحدثنا ونحن نسير جنبًا إلى جنب:

- مع أنني أستطيع النوم وسط الجماعة وأستطيع النوم في أي مكان.

قال السيد أويهارا بصوت يغلب عليه النعاس:

- أجل.
- كنت تريد أن نكون بمفردنا أليس كذلك؟ كنتَ ترغب في ذلك.

عندما قلت ذلك وأنا أضحك عوج السيد أويهارا فمه وابتسم ابتسامة مريرة قائلًا:

- لأنك هكذا، فأنا أكرهك.

ووعيت وعيًا ملأ كياني أنه يعطف عليَّ ويحنُّ عليَّ جدًّا.

- يبدو أنك تشرب خمرًا كثيرًا جدًّا. هل تفعل هذا كل ليلة؟
- أجل كل ليلة منذ الصباح.
- أهي لذيذة؟ الخمر.
- سيئة الطعم.

لسبب ما أحسستُ بالعجب من صوت السيد أويهارا وهو يقول ذلك.

- كيف حال العمل؟
- فاشل. كلما كتبت شيئًا أشعر أنه عمل غبي، ثم أشعر بالحزن، ولا أجد مفرًّا من ذلك. إنه غروب العمر. غروب الفن. غروب البشرية. وهو أيضًا تكلُّف.

قلت بلا وعي تقريبًا:

- يوتريللو.
- أجل، يوتريللو. يبدو أنه ما زال على قيد الحياة. الميت من الكحول. إنه جثة. إن لوحاته في آخر عشر سنوات شعوبية بدرجة مريبة، وفاشلة كلها.
- لا يقتصر هذا الأمر على يوتريللو فقط، أليس كذلك؟ إن كل العظماء الآخرين كذلك...
- أجل. ضعف وذبول. ولكن البراعم الجديدة تذبل وهي براعم كما هي. الصقيع، إنه صقيع شديد. على ما يبدو أن الصقيع هبط في كل أنحاء العالم في غير أوانه.

حضن السيد أويهارا كتفي حضنًا خفيفًا، وأصبح جسدي محاطًا بأكمام السيد أويهارا الملفوفة لفة مزدوجة، فلم أرفض ذلك، بل على العكس مشيت وأنا أميل بجسدي ناحيته تمامًا.

أغصان أشجار الطريق. غصن ليس به ورقة شجر واحدة، كان منغرزًا في سماء الليل بحدة ونحافة. وعندما قلت بلا وعي:

- إن أغصان الأشجار في منتهى الجمال، أليس كذلك؟

قال وهو مرتبك قليلًا:

- بلى. لاسيما التوافق بين الزهرة والغصن الأسود تمامًا.
- كلا، إنني أحب مثل هذا الغصن الذي ليس به زهرة أو ورقة أو برعم أو أي شيء. حتى ذلك الغصن يعيش بكل جهده، أليس كذلك؟

ويختلف عن الغصن الذابل.

- الطبيعة فقط هي التي لا تذبل؟

قال ذلك ثم استمر يعطس عدة مرات متتالية.

- ألستَ مريضًا بالبرد؟

- كلا، كلا، البتة. في الحقيقة، هذه عادة غريبة عندي، عندما يصل السُكْر من الخمر إلى درجة التشبع، أعطس على الفور كثيرًا هكذا. إنه ما يشبه بارومتر لدرجة السكر.

- والحب؟

- ماذا؟

- هل ثمة شخص ما؟ شخص وصلت معه إلى درجة التشبع من الحب؟

- ماذا! لا يجب أن تسخرين مني. إن النساء جميعهن سواء. فاشلات معقدات. جيلوتين، جيلوتين، شوروشوروشو، في الواقع ثمة واحدة، كلا بل نصف واحدة.

- وهل رأيت رسالتي إليك؟

- رأيتها.

- وردك؟

- الحقيقة أنني أكره النبلاء. فمهما فعلوا ثمة لديهم غرور وأنفة في مكان ما لا يزول. إن أخيك ناوجي رجل عظيم بصفته من النبلاء ولكنه كذلك يأتي عليه فجأة وقت لا يمكن التعامل معه تمامًا بسبب ظهور صفة الصفاقة فيه. إنني ابن مزارع من الأرياف، عندما أمر من أمام مثل هذا الجدول الصغير بالضرورة لا أتذكر إلا طفولتي وأنا أصيد سمك الشبوط القاسي أو أغرف بيدي سمك الأرز الياباني من الجدول الصغير في قريتي.

كنا نسير في طريق بمحاذاة نهير ينساب مُصَدِرًا خرير ماء خفيض في قاع الظلام.

- ولكنكم أيها النبلاء، لا يمكن لكم أن تفهموا مشاعرنا تلك بأي حال فقط، ولكنكم أيضًا تحتقرونها.

- ماذا عن تورغينيف؟

- إنه أيضًا من النبلاء. ولذلك فأنا أكرهه كذلك.

- ولكن يوميات صياد ...

- أجل، هذا العمل فقط عمل بارع إلى حد ما.

- هل يجرح هذا الحياة المعيشية للقرى الزراعية، ...

- ألا نتفق على رأي وسط بيننا بأن هذا الأبله نبيل قروي؟

- إنني الآن قروية، إنني أزرع حقولًا. قروية فقيرة.

- أما زلت تحبينني حتى الآن؟

كانت نبرة حديثه عنيفة.

- هل تريدين الحصول على طفل مني؟

لم أرد عليه.

اقترب وجه ذلك الرجل بقوة اندفاع صخرة تهبط ساقطة من السماء. نزلت دموعي وأنا أتقبلها، كانت دموعًا تشبه دموع الانكسار والخزي. نزلت الدموع من عيني بلا نهاية.

ثم تابعنا سيرنا جنبًا إلى جنب، فقال كلمة ثم ضحك:

- يا للفشل! لقد وقعتُ في حبك.

ولكنني لم أستطع الضحك. عقدت من حاجبي وأغلقت فمي.

ما باليد حيلة.

إن عبرت عن ذلك بالكلمات، فقد كانت تلك هي مشاعري. ثم انتبهتُ إلى أنني أسير وأنا أجر القبقاب جرًّا.

- يا للفشل!

كرر ذلك الرجل قوله مجددًا.

- هل نذهب إلى أقصى ما يمكن الذهاب إليه؟

- مغرور.

- حيوانة.

ثم ضرب السيد أويهارا كتفي بقبضة يده، وسعل سعالًا كبيرًا مجددًا.

في بيت السيد فوكوي ذلك الذي حكى عنه، كان يبدو أن الجميع قد خلد إلى النوم.

طرق السيد أويهارا بوابة المدخل وهو يصيح بصوت عال:

- برقية، برقية. إنها برقية لك يا سيد فوكوي.

صدر صوت رجل من الداخل يقول:

- أويهارا؟

- أجل بالضبط. لقد جئت في طلب قضاء الليل للأمير والأميرة. إن البرد يسبب خروج العطس المستمر، فأصبح طريق الحب المشتاق إليه نزهة كوميدية.

فُتح باب المدخل من الداخل. استقبلنا رجل أصلع الرأس ضئيل الجسم تخطى الخمسين بعمر طويل وهو يبتسم ابتسامة خجولة غريبة ويرتدي منامة مبهرجة.

- أرجوك.

بعد أن قال السيد أويهارا تلك الكلمة الوحيدة دخل البيت في عجلة دون أن يخلع معطفه.

- إن المرسم بارد جدًّا ولا يمكن الذهاب إليه، سأستعير منك الطابق الثاني. تعالِ.

قال ذلك وهو يمسك يدي، وصعدنا الدرج في نهاية الطرقة ودخلنا غرفة مظلمة، وأدار مفتاحًا في ركن الغرفة مصدرًا صوتًا.

- تبدو وكأنها غرفة في مطعم.

- أجل. إنها ذائقة محدث نعمة. ولكن ذلك الرسام الرديء غير جدير بها. إن كان سوء حظك شديدًا فلن تنجو من ويلات الحروب. يجب استغلال هؤلاء القوم. حسنًا فلننم، لننم.

وكأنه في بيته أخرج الفراش من الخزانة دون إذن وفرشه:

- نامي هنا. وأنا سأعود. وفي صباح الغد سآتي لأصحبك. المرحاض على اليمين بعد نزول الدرج مباشرة.

ثم هبط الدرج بخفة مصدرًا صوتًا وكأنه يسقط منهارًا منه، ثم هدأ الصوت تمامًا وسيطر السكون على المكان.

أدرتُ المفتاح مرة ثانية، فأطفأتُ لمبة الإضاءة الكهربائية، وخلعتُ المعطف القطيفة الذي صُنع من قماش مستورد أحضره والدي معه مرة من الخارج هدية لي، وفككت الحزام فقط، ودخلت الفراش مرتدية الكيمونو كما أنا. وعلاوة على أنني كنتُ مرهقة بسبب شربي للخمر كان جسمي خاملًا فغرقتُ في النعاس على الفور.

وفي غفلة من الزمن كان ذلك الرجل ينام بجواري، ... قاومت باستماتة لمدة ساعة تقريبًا في صمت.

ثم فجأة أحسستُ بالشفقة، فتخليت عن المقاومة.

- إن لم أفعل ذلك فلن تشعري بالأمان، أليس كذلك؟
- ربما، كان كذلك.
- أنت، هل حالتك الصحية سيئة؟ لقد بصقت دمًا، أليس كذلك؟
- كيف عرفت؟ في الواقع، لقد حدث ذلك بالفعل بكمية كبيرة منذ أيام، ولكنني لم أبلغ أحدًا.
- إن رائحتك هي الرائحة نفسها التي كانت لأمي قبل موتها.
- أنا أشرب الخمر بنية الموت. إنني لا أستطيع تحمل حزن أنني أعيش.

فليس شيئًا متسعًا مثل الوحدة أو العزلة ولكنه الحزن. عندما نسمع نحيب بكاء الكآبة من الجدران الأربعة، فما من افتراض بأن نشعر بالسعادة نحن فقط. تُرى ما الذي يشعر به الإنسان عندما يدرك أن سعادته ومجده لن يتحققا بأي شكل أثناء حياته؟ اجتهاد. إن هذا فقط ما يجعله طُعمًا لوحش المجاعة. إن أعداد البائسين كثيرة كثرة مفرطة. هل هذا غرور؟

- كلا.

- إنه الحب فقط. كما في وعظك في رسالتك تمامًا.

- أجل.

لقد تلاشى حبي.

جاء الصباح.

أصبحت الغرفة مضيئة بضوء معتم، فأخذتُ أتأمل وأفحص بالتفصيل وجه ذلك الرجل النائم بجواري. كان وجهه وجه من سيموت في القريب العاجل. وجه بلغ به التعب منتهاه.

وجه ضحية؛ ضحية نفيسة لا تقدر بثمن.

إنه رجلي. قوس قزحي. طفلي (ماي تشايلد). شخص كريه، شخص خبيث.

ظننتُ أنه وجه جميل جدًّا جدًّا لدرجة أنه ليس له شبيه مثله في هذا العالم، فاهتاج قلبي وكأن مشاعر الحب قد بُعثت فيه مجددًا، فقبلته وأنا أمسح بيدي على شعره.

إنه اكتمال حب حزين، حزين جدًّا.

حضنني السيد أويهارا وهو مغمض العينين.

- تظاهرتُ بأنني مظلوم. فأنا ابن مزارع.

لا يجب عليَّ أن أفترق عن هذا الشخص.

ضحك السيد أويهارا هاهاها وقال:

- إنني الآن في غاية السعادة. حتى وإن سمعت أصوات النحيب من الجهات الأربع، فإن شعور سعادتي الحالي وصل لنقطة التشبُّع والاكتفاء. سعيد لدرجة أنني على وشك العطس.
- ولكن قد تأخر الوقت، إنه الغسق.
- إنه الصباح!

في ذلك الصباح انتحر أخي الصغير ناوجي.

الفصل السابع

وصية ناوجي.

أختي العزيزة.

لا فائدة. سأذهب أنا أولًا.

إني لا أفهم مطلقًا لِمَ يجب عليَّ أن أعيش؟

فليعش فقط من يريد أن يعيش.

إن طريقة تفكيري هذه ليست جديدة بأي قدر ولو قليل، إن هذا الأمر الطبيعي جدًّا، والفطري حقًّا، لتتمسك به الناس بطريقة غريبة، ولكنها فقط لا تنطق به علانية بلسانها.

الشخص الذي يريد الاستمرار في العيش، مهما فعل، يجب أن يعيش قويًّا بالضرورة، وهذا أمر رائع، ومن المؤكد أن ما يُطلق عليه تاج المجد الإنساني يأتي من هذا النطاق، ولكنني أعتقد أن الموت نفسه ليس خطيئة.

أنا، أنا ذلك العشب الصغير، من الصعب عليَّ العيش تحت شمس وهواء هذا العالم. ويُصعّب عليَّ الاستمرار في الحياة. إنني غير كامل. إن ما عشتُه حتى الآن، كان أقصى ما في وسعي من جهد.

لقد دخلت المدرسة الثانوية، وتعاملت للمرة الأولى مع أصدقاء من الأعشاب القوية التي تربت حتى الآن في طبقة اجتماعية تختلف تمامًا عن الطبقة التي تربيتُ أنا فيها، وانجرفتُ تحت تلك القوة المندفعة، يجب ألا أُهزم. لقد تناولتُ المواد المخدرة، وقاومت وأنا في حالة تقترب من

السُعار. ثم أصبحت مجندًا في الجيش، وكما هو متوقع هناك أيضًا، كانت الوسيلة الأخيرة لي للبقاء على قيد الحياة هي استخدام الأفيون. على الأرجح أنك يا أختي العزيزة لن تفهمي مشاعري تلك.

كنت أريد أن أصبح إنسانًا بذيئًا. كنت أريد أن أصبح قويًا، لا بل كنت أريد أن أصبح همجيًا متوحشًا. وكان هذا الطريق الوحيد الذي أراه لكي أستطيع أن أكون صديقًا لما يُسمى عامة الشعب. لم يكن لهذا الأمر أن يتم مطلقًا بمجرد الخمر فقط. كان يجب دائمًا أن أكون مغيبًا زائغ العينين. ومن أجل ذلك، لم أجد أمامي حلًّا آخر إلا المخدرات. يجب عليَّ أن أنسى بيت العائلة. يجب أن أقاوم سلالة دم أبي. يجب أن أرفض حنان أمي بشدة. يجب عليَّ أن أعامل أختي الكبيرة ببرود. وكنتُ اعتقدُ أنني إن لم أفعل ذلك، فلن أستطيع الحصول على تذكرة دخول غرفة عامة الشعب تلك.

أصبحتُ وضيعًا. أصبحتُ أستخدم كلمات بذيئة. ولكن نصف هذا، كلا بل ستين في المئة منه، كان مجرد سيف مزيف بائس. زينة رديئة الصنع. وبالنسبة لعامة الشعب، كنتُ رجلًا مغرورًا يتنكر في شخصية الذكي الألمعي. إنهم لم يتعاملوا معي من أعماق قلبهم حين تذوب كل الفوارق التي بيننا. ولكنني أيضًا لم أكن أستطيع العودة مرة أخرى إلى الصالون الذي تخليتُ عنه بعد كل ما حدث. حتى وإن كانت بذاءتي الآن ستين في المئة منها صناعية مثل السيف المزيف، ولكن الأربعين في المئة المتبقية، أصبحت بذاءة أصيلة وحقيقية. إنني أكاد أن أتقيأ من دماثة الخلق التي لا تطاق لما يُطلق عليها الصالونات الراقية وقد أصبحت لا أتحمل الصبر عليها

لحظة واحدة. وكذلك هؤلاء الناس الذين يُوصفون بالوجهاء وعلية القوم، فعلى الأرجح أنهم سيُذهلون من سوء سلوكي ويطردونني في التو والحال. لا أستطيع العودة إلى العالم الذي تركته، بل هو مجرد أنني أُعطيت مقعد المتفرج المؤدب المفرط في تأدبه من عامة الشعب بنية مفرطة في سوء شرها.

في كل جيل، هناك العشب المليء بالعيوب وهناك الضعيف في قوة الحياة المعيشية مثلي، ربما يكون قدره أن يختفي من نفسه بلا أفكار ولا غيره، ولكنَّ لدي القليل من الأعذار التي أريد قولها. إنني أشعر أن الظروف المحيطة بي لا تسمح لي مطلقًا بالعيش.

وكذلك كل إنسان.

تُرى هل هذا فكر؟ أنا أعتقد أن الشخص الذي اخترع تلك الكلمة العجيبة، ليس رجل دين وليس فيلسوفًا أو فنانًا. إنها كلمة طفحت من حانة شعبية. مثل طفح الدود، في غفلة من الزمن، بدون أن ينطق بها أحد، طفحت كدخان كثيف، وغطت العالم كله، وجعلت العالم كله كئيبًا مثيرًا للإزعاج.

ولا علاقة مطلقًا لتلك الكلمة العجيبة بالديمقراطية ولا بالماركسية كذلك. تلك بالضرورة، كلمة ألقاها رجل دميم تجاه رجل وسيم داخل حانة. مجرد تعبير عن عصبيته وغضبه. وربما غيرة. ما من فكر مطلقًا.

ولكن صوت الغضب من الغيرة في تلك الحانة، اتخذت وجهًا يليق بالأفكار المريبة، ومشت بين مواكب عامة الشعب، ومع أنها كلمة يُفترض أن ليس لها أية علاقة مع الديمقراطية والماركسية، بل في غفلة من الزمن، ارتبطت بالأفكار السياسية والأفكار الاقتصادية، وأصبحت لها نكهة منحطة مريبة. وحتى

مفستوفيليس نفسه ربما كان سيتردد ويخجل ضميره من مثل تلك البهلوانات أو أن يطلق على مثل ذلك الهراء أفكارًا.

وكذلك كل إنسان.

يا لها من كلمة وضيعة! إنها كلمة تحتقر البشر وفي الوقت نفسه تحتقر نفسها، وتنبذ مختلف الجهود بدون أي كرامة أو عزة نفس. إن الماركسية تؤكد على إعطاء الأولوية للعمال. ولن أقول إنه الشيء نفسه أو غيره. وتؤكد الديمقراطية على حرمة الفرد. ولن أقول إنه الشيء نفسه أو غيره. ولكن من يقول ذلك هو القواد. «هاهاها، مهما تنكر أليس هو الإنسان نفسه؟»

لِمَ يقول القول نفسه؟ ألا يستطيع القول إنه ممتاز؟ إنه انتقام الرقيق.

ولكن، أنا أعتقد أن تلك الكلمة، في الواقع كلمة فاحشة، منفرة، تجعل البشر يخافون بعضهم بعضًا، ويُغتصَبون من مختلف الأفكار، وتسخر من الجهود المبذولة، وتنكر السعادة، وتجعل الجميل دميمًا، وتُسقط المجد أرضًا، أي أن ما يُطلق عليه «قلق القرن» هو ناتج من تلك الكلمة العجيبة.

وأنا أشعر أنها كلمة كريهة، إلا أنه كما هو متوقع تُهددني تلك الكلمة وتجعلني أرتعش من الخوف، ومهما فعلتُ من أفعال أشعر بالحياء، وبقلق لا يتوقف، وخفقان قلب لا أجد معه مكانًا أستكين فيه في لمح البصر، وذلك من خلال دوخة الإفراط في الخمر والمخدرات، ولقد أصبحت حياتي جحيمًا نتيجة الرغبة المستمرة في الحصول على الاستقرار.

أنا على الأرجح ضعيف. أنا على الأرجح عشب به عيب خطير جدًا في مكان ما. وكذلك مهما رصصت مثل هذه المراوغات اللغوية والحجج المنطقية، ماذا؟ فأنا في الأصل

أعشق اللعب، كسول، شهواني، داعر، طفل أناني يحب اللذات، ربما يقول القواد إياه ذلك وهو يضحك ساخرًا. وهكذا حتى وإن قيل لي ذلك، فحتى الآن كنتُ أستحي، وأومئ برأسي في غموض، ولكن عندما جاء موقف الموت، أريد أن أقول ما يشبه الاعتراض ومقاومة ذلك.

أختي العزيزة،

صدقيني.

إنني حتى مع لعبي لم يكن الأمر هينًا بالنسبة لي. ربما أكون عنينًا تجاه المتعة. ولكنني فقط، كنت أريد الابتعاد عن ظل ذاتي التي تنتمي إلى النبلاء، فأخذتُ ألعب وأُجن وأسقط في الحضيض.

أختي العزيزة،

تُرى هل نحن مذنبون؟ هل ذنبنا أننا وُلدنا في عائلة نبلاء؟ ولكن ميلادنا فقط في تلك العائلة، يوجب علينا أن نعيش في خجل وحياء واستغفار للذنوب واعتذار إلى الأبد مثل عائلة يهوذا.

كان يجب عليَّ أنا أموت مبكرًا عن ذلك. لولا شيء واحد فقط، حب أمي. عندما فكرتُ فيها، لم أستطع الموت. لأن ذلك كان يعني في الوقت نفسه، أنني أقتل «أمي» أيضًا.

والآن حتى وإن متُ أنا فما من أحد سيحزن عليَّ لدرجة أن تسوء صحته، كلا يا أختي العزيزة، إنني أعلم، ما هو حجم الحزن الذي سيصيبكم بعد فقدكم إياي، كلا، فلْنُعْرِضْ عن مشاعر التجمل الكاذبة، إن علمتم بموتي، من المؤكد أنكم ستبكون، ولكنكم عندما تفكرون في معاناتي من هذه الحياة، والفرحة من التحرر الكامل من هذه العيشة الكريهة، فأعتقد

أن حزنكم ذلك سيضمحل تدريجيًّا.

إن الشخص الذي ينتقد انتحاري، بلسانه فقط دون أن يعطيني أي قوة مساعدة تجعلني أستطيع إطالة حياتي حتى النهاية، فمن المؤكد أنه بلا شك إنسان في منتهى العظمة لدرجة أنه يستطيع أن يوصيني بقلب بارد بفتح محل لبيع الفاكهة في الطبقات الدنيا من المجتمع.

أختي العزيزة،

إن الموت أفضل لي. فأنا لا أملك ما يُسمى القدرة على الحياة، وليس لدي قوة الصراع مع الآخرين حول الأموال، بل إنني لا أستطيع حتى مجرد طلب المال من أحد.

فحتى وإن قضيت الوقت مع السيد أويهارا، فلقد التزمتُ بدفع فاتورة حسابي بنفسي دائمًا. وكان السيد أويهارا يكره ذلك كرهًا شديدًا ويقول إن ذلك من كبرياء النبلاء البخلاء، ولكنني لم أكن أدفع بدافع من الكبرياء، ولكن ربما كنت أصاب بالخوف ولا أستطيع مطلقًا أن آكل وأشرب وأحضن النساء بالأموال التي حصل عليها السيد أويهارا من عمله. فحتى وإن قلتُ ببساطة: ذلك لأنني أحترم عمل السيد أويهارا، فهذا كذب وفي الواقع أنني لا أعرف أنا نفسي السبب بوضوح. ولكن دفع الآخرين الفاتورة لي أمر مرعب. لاسيما قبول الدفع من أموال حصل عليها ذلك الشخص من كده وعمل يده، إنه أمر شاق يرهق قلبي ولا أستطيع تحمله.

وهكذا بدأت أخذ الأموال والأشياء وأصبتك أنت وأمي بالحزن، وحتى أنا شخصيًّا لم يكن الأمر مريحًا لي ولو راحة قليلة. وخطتي للعمل في عالم النشر أيضًا، كانت فقط مجرد مظهر خارجي لإخفاء مشاعر الخجل، ولكنني في الواقع لم

أكن جادًّا مطلقًا. وحتى وإن فعلت ذلك جادًّا، فالرجل الذي لا يستطيع أن يكون مدعوًّا على موائد الآخرين، فهو لا يستطيع بأي حال كسب المال، مهما كنتُ غبيًّا فقد انتبهت لذلك.

أختي العزيزة،

لقد أصبحنا فقراء. أثناء حياتنا، خطر في ذهني أن أدعو الناس على الطعام، ولكنني أصبحت بالفعل لا يمكنني العيش دون أن يدعوني الآخرين على الطعام.

أختي العزيزة،

فوق هذا، لماذا يجب عليَّ أن أستمر في الحياة؟ لم يعد الأمر يجدي، سأموت. ثمة دواء يميت موتًا مريحًا. عندما كنتُ مجندًا، حصلت عليه احتياطًا.

إنك يا أختي العزيزة جميلة (لقد كنتُ أفخر دائمًا بجمال أمي وأختي)، وكذلك ذكية، وأنا لا أقلق مطلقًا بخصوص أي شيء يخصك. بل ليس لدي حتى بوادر القلق. إن الأمر يبدو وكأن السارق يبدي عطفه على المسروق، مجرد أن يحمر وجهه فقط من الخجل. أنا أعتقد أن من المؤكد أنك يا أختي العزيزة ستتزوجين، وتنجبين أطفالًا، وتعيشين طويلًا مع زوجك وفي فضله.

أختي العزيزة،

إن لدي سرًّا.

لفترة طويلة جدًّا كنتُ أخفيه داخلي تمامًا، حتى بعد ذهابي لأرض القتال حيث كنت أفكر في تلك المرأة، ولربما حدث مرات عديدة أن أصحو وأنا على وشك البكاء بعد أن أرى حلمًا من أحلامها.

إنني لا أستطيع مطلقًا أن أبوح باسمها لكائن من كان.

ولكن لأنني الآن أواجه الموت، فقد عزمت أن أقوله بوضوح لأختي العزيزة فقط على الأقل، ولكن كما توقعت كان الأمر مخيفًا مهمًّا فعلت، ولا أستطيع أن أبوح باسمها.

ولكن هذا السر أصبح أخيرًا سرًّا مطلقًا فلم أبح به إلى أحد في هذا العالم، وإن مت وأنا أحمله في صدري، أو أُحْرِقَتْ جثتي فإنني أشعر أنه سيبقى حيًّا داخل قلبي فقط ويتعفن دون حرق، فلا أستطيع أن أحتمل القلق بشأن ذلك، ولذا قررت أن أعلمك به يا أختي العزيزة بقول غامض وغير مباشر مثل الروايات. حتى وإن قلنا مثل الروايات، ولكن من المؤكد أنك يا أختي العزيزة ستعرفين الطرف الآخر على الفور، يُفترض أن تكوني انتبهتِ لها. فالأمر بدرجة ما مجرد حيلة استخدام اسم مستعار فقط.

هل تعلمين يا أختي العزيزة؟

يُفترض أنك يا أختي العزيزة تعرفين تلك المرأة، ولكن على الأرجح أنك لم تقابليها قط. إنها أكبر منك في العمر قليلًا. جفونها مشدودة، وترتفع حواف عينيها، ولم يسبق لها أن أجرت عملية تجعيد لشعرها السبط، فكان قويًّا مشدودًا دائمًا للخلف، كيف يمكنني وصفه؟ إنها تقصه قصة شعر متواضعة لا تلفت الأنظار، فهي ترتدي ملابس في منتهى الفقر، ولكنها كانت مهندمة في هيئتها بل كانت ترتدي دائمًا ملابس منسقة ونظيفة.

إن تلك المرأة هي زوجة رسام للوحات الغربية متوسط العمر، نشر لوحات فنية بلمسات جديدة واحدة بعد أخرى بعد الحرب، وأصبح مشهورًا فجأة، وكان سلوك ذلك الرسام عنيفًا جدًّا، ومع ذلك، كانت تلك الزوجة تتظاهر بالهدوء والرزانة،

وكانت تعيش دائمًا مبتسمة ابتسامة حنونة.

وهنا نهضتُ أنا وقلت:

- حسنًا أنا من سيوقف الرجل عند حده.

ونهضت هي أيضًا، وبدون أي إنذار مسبق، بدأت تقرب سيرها مني، ونظرت عاليًا إلى وجهي قائلة بصوتها المعتاد:

- لِمَ؟

ثم استمرت تنظر في عيني لفترة وهي تحرك عنقها قليلًا بشعور مرتاب حقًّا. وهكذا كانت عيناها بلا خبث ولا تصنُّع، وكان من صفاتي أنني إذا ما تلاقت عيناي مع عيني امرأة، كنت أبعد عيني مترددًا خجلًا، ولكن في ذلك الوقت فقط لم أشعر بأية ذرة من الخجل، تأملتُ مقلة تلك المرأة ووجهانا على بعد مسافة شبر فقط، أكثر من ستين ثانية أو أكثر منها بمشاعر سعيدة، وفي النهاية ابتسمت وقلت:

- ولكن...

قالت كما هو متوقع بوجه في منتهى الجدية:

- سوف أعود فورًا.

فكرتُ فجأة أليس هذا الشعور هو ما يطلق عليه الصدق؟ ليست الفضيلة الصارمة التي تفوح منها رائحة كتب الأخلاق المدرسية، فكرتُ في أنها الفضيلة الأصيلة التي عُبر عنها بكلمة الصدق، أليست هي هكذا؟

- سآتي مرة ثانية.

- حقًّا.

لم يكن الحوار كله من البداية إلى النهاية ذا بال. في ظهيرة أحد أيام الصيف، ذهبتُ لزيارة بيت ذلك الرسام وكان غائبًا عن البيت، ولذا كان من المفترض أن أرجع سريعًا،

ولكن اتبعتُ كلمة زوجته التي قالت لي: «ما رأيك أن تتفضل بالدخول وتنتظره؟» دخلتُ بيته، وأخذت أقرأ في مجلة لمدة نصف ساعة فقط، ولأنه ما من بوادر على أنه سيعود قريبًا، نهضتُ واقفًا واستأذنت في الرحيل، كان ذلك فقط هو ما حدث، ولكنني في ذلك الوقت وذلك اليوم، وقعتُ في حب مقلتي تلك المرأة حبًّا يسبب المعاناة.

تُرى هل يفضل أن أطلق عليه حبًّا نبيلًا؟ ولكنني أستطيع القطع بالقول إنه وسط النبلاء الذين يحيطون بي، باستثناء أمي، ما من شخص واحد، واحد فقط، يستطيع أن تكون له مثل ذلك التعبير في مقلتيه «الصادقتين» بتلك الدرجة من عدم الحذر والأمان.

وبعد ذلك، في مساء أحد أيام الشتاء، حدث مرة أن صرعني الوجه الجانبي لتلك المرأة. فكما هو متوقع، في بيت زوجها الرسام، شجعني أن أرافقه في مقارعة الخمر ونحن جالسان على المنضدة ذات التدفئة الذاتية، ونحن نتبادل قول النميمة عمًّا يُطلق عليهم مثقفو اليابان، وكنا نتلوى من الضحك، وفي النهاية، غط الرسام في نوم عميق وهو يصدر شخيرًا صاخبًا، وكنتُ أنا أيضًا على وشك أن أرقد على جنبي، وفجأة غطتني بطانية، وعندما فتحت عيني نصف فتحة، كانت سماء شتاء طوكيو مغبشة بلون مائي، كانت السيدة تحضن الابنة، في حافة النافذة، تجلس وكأن شيئًا لم يكن، ووجهها الجانبي الصافي، وخلفه السماء بعيدة بلونها المائي، مثل تلك اللوحات الشخصية في عصر النهضة الأوربية، وقد برزت حوافه محددة في ألوان مزدهرة، حنانها وهي تغطيني برفق وحنان بالبطانية، كانت بلا أي إغراء، ولا شهوة، آه، أليس استخدام كلمة إنسانية

في هذا الموضع هو الذي يعيد لها الحياة والروح؟ فهمت أنها مجرد أفعال طبيعية، وكأنها فعلت ذلك تقريبًا تلقائيًا ولا إراديًا، وبطيف هادئ تمامًا مثل البورتريه، كانت تنظر لبعيد.

أغمضتُ عيني، وشعرتُ بالشوق والهيام المجنون، فتراكمت الدموع تحت جفوني، فجذبتُ البطانية وغطيت رأسي بها.

أختي العزيزة،

إن سبب زيارتي لبيت ذلك الفنان، هو أن لمسات أعماله ذات طبيعة متميزة جدًا وذات شغف مجنون مكنون فيها، وربما بسبب أنني شجعته على أن يسكر، ولكنني مع استمرار العلاقة معه فقدتُ اهتمامي به لجهله وتفاهته وقذارته، ثم على العكس من ذلك مقارنة به انجذبتُ إلى جمال أدب زوجته، كلا، لقد كنتُ أتوق منجذبًا إلى شخص بمشاعر حب صحيحة، وأريد أن ألقي نظرة واحدة على زوجته، أصبحتُ أذهب إلى بيت ذلك الرسام كثيرًا.

بل لدرجة أنني أعتقدُ الآن إنه إذا حدث وظهر في أعمال ذلك الرسام، قليلًا أو كثيرًا، ما يشبه رائحة الفن الراقي، فهو لا شك انعكاس لطيبة قلب تلك الزوجة.

الآن تحديدًا سأقول ما شعرتُ به حقًّا تجاه ذلك الرسام كما هو، فهو مجرد رجل كثير اللهو، كثير الشرب، تاجر بارع. ومن أجل رغبته في الحصول على المال الذي يلهو به ويشرب، يلون لوح القنب عشوائيًا بالألوان، ثم يركب الموجة المندفعة للموضة ويبيعها بأسعار مغالية وهو يُظهر حرصه عليها وتمسكه بها. إن ذلك الرجل لا يملك إلا وقاحة الريفي، وثقة غبية بالنفس، ومكر تاجر فقط.

على الأرجح أن ذلك الرجل لا يفهم أي شيء عن لوحات

الآخرين، سواء لوحات رسامين يابانيين أو لوحات رسامين أجانب. وعلاوة على ذلك، فمن المؤكد أنه لا يفهم هو نفسه اللوحات التي يرسمها بنفسه من أجل الحصول على مال للهو والتسلية فقط، مجرد أن ينهمك ناسيًا نفسه في سكب الألوان على لوح القنب.

الأكثر من ذلك والأمر الذي يدعو للعجب أن ذلك الرجل لا يملك أي شك أو خوف أو خجل من تلك التفاهات الذي يفعلها بنفسه.

ولكنه بالفعل أصبح ماهرًا في ذلك. فمهما قلنا هو شخص لا يفهم اللوحات التي يرسمها بنفسه، ولذلك ما من أي افتراض أن يفهم جودة عمل الآخرين، مجرد أن يغتاب هذا ويذم ذاك بلا نهاية.

بمعنى أن ذلك الشخص في حياته المعيشية المنحطة، يشتكي بلسانه فقط من معاناته المختلفة، ولكنه في الواقع، مجرد ريفي غبي جاء إلى المدينة التي كان ينظر إليها بهيام وشغف على الدوام، فنجح نجاحًا لم يكن هو نفسه يتوقعه ووصل إلى قمة النشوة والابتهاج فأخذ يلهو ويلعب كما يحلو له.

لقد قلتُ له في أحد المرات:

- إنني أشعر بالخجل والخوف من أن أجتهد بمفردي بينما أصدقائي جميعهم يلهون ويلعبون، فهو أمر خاطئ. أنضم إليهم حتى ولو لم تكن لديَّ أيُّ رغبة في اللهو واللعب ولو قليلًا.

فرد ذلك الرسام متوسط العمر ببرود قائلًا:

- ماذا؟ هل هذه صفات النبلاء؟ يا للعار! إنني عندما أرى

الناس تلهو وتلعب، أعتقد أن عدم اللعب أو اللهو خسارة لي، فألهو وألعب بكل طاقتي.

ولكنني وقتها، احتقرت ذلك الرسام من أعماقي. إن هذا الشخص لا يعرف المعاناة. بل إنه على العكس يفخر باللهو بغباء. إنه حقًّا طفل غبي غباء جوهريًّا لا يعرف إلا اللذة.

ولكنني مهما ذكرت من سباب ذلك الرسام أكثر من ذلك، فهو أمر لا علاقة لكِ مطلقًا به يا أختي العزيزة، حتى وأنا على مشارف الموت الآن، أتذكر علاقتي الطويلة مع ذلك الشخص، وأشعر بدافع يجعلني أرغب في لقائه واللهو معه مرة ثانية، ولست أحمل أي ضغينة أو كره ناحيته بتاتًا، ولأنه إنسان يشعر بالوحدة وبه العديد من الصفات الطيبة، فلن أزيد في القول.

إنني كنتُ فقط أريدك أن تعرفي يا أختي العزيزة، أنني أحمل لزوجة ذلك الرجل شوقًا وهيامًا وحيرة وعذابًا. ولذلك فإنك وإن عرفتِ يا أختي العزيزة ذلك، فلن تقولي ذلك لأحد بصفة خاصة، أو تحاولي تحقيق رغبات أخيك الأصغر التي رغب فيها قبل موته، فليس ثمة ضرورة لفعل مثل هذا الجميل المتزلف مطلقًا، يكفي أن تعرفي أنت فقط، ثم تفكري داخلك سرًّا قائلة: «آه هل كان الأمر كذلك!» وإنني وإن قلت المزيد من الرغبات، من خلال مثل هذا الاعتراف المخجل، فأرجو أن تدرك أختي العزيزة فقط على الأقل، أعمق معاناتي في حياتي فيما مضى وحتى الآن فقط، فهذا سيسعدني جدًّا.

لقد رأيت في إحدى الليالي حلمًا أنني أمسك بيد زوجته. ثم عرفت أن الزوجة كذلك كانت تحبني منذ زمن طويل، وحتى بعد استيقاظي من الحلم، ظل دفء أصابعها في راحة يدي، وذلك فقط جعلني أحس بالرضا والاكتفاء، وفكرت أنه

يجب عليّ أن أيأس للأبد. ليس خوفًا من التقاليد الأخلاقية، بل يجب أن أخاف من ذلك الرسام نصف المجنون، كلا بل يمكن القول إنه مجنون تمامًا. قررت اليأس، وحاولت توجيه نيران قلبي إلى اتجاه آخر، عشوائيًّا، وحتى ذلك الرسام أيضًا في إحدى الليالي كان عابس الوجه، بائسًا ظل يلهو كالمجنون مع العديد من النساء. كنتُ أريد بأي شكل البعد عن وهم تلك الزوجة، ونسيانها، وأريد أن أموت بأي شكل. ولكنني فشلت. وفي النهاية كنتُ رجلًا لا يستطيع توجيه حبه إلا إلى امرأة واحدة. سأقولها بوضوح. إنني لم أشعر ولو مرة واحدة فقط أن أية امرأة غيرها جميلة أو جذابة.

أختي العزيزة،

قبل أن أموت أرجو أن تسمحي لي بكتابته مرة واحدة فقط.

... سوغا تشان.

إنه اسم تلك الزوجة.

أمس، اصطحبتُ راقصة (إن تلك المرأة غبية غباء جوهريًّا) لا أحبها بأي درجة من الحب، وجئتُ إلى المنتجع الجبلي، ولكنني حقًّا لم آتِ وأنا أعتقد أبدًا أن أموت هذا الصباح. في وقت ما، قريبًا جدًّا، كانت لدي النية في الموت، ولكنني اصطحبت المرأة أمس إلى المنتجع الجبلي، لأن المرأة ألحت عليّ في السفر لرحلة ترفيهية، وكنتُ أنا أيضًا قد تعبتُ من اللهو في طوكيو، ففكرت أنه لن يكون سيئًا أن أصحبها ليومين أو ثلاثة أيام للراحة في المنتجع الجبلي، وكانت حالتك الصحية يا أختي العزيزة سيئة قليلًا. ولكن على كل حال، بعد أن أتينا

إلى هنا، ذهبتِ يا أختي العزيزة للقاء صديق من طوكيو، فكرتُ فجأة أنني إن عزمتُ الموت فهذا هو أفضل وقت.

إنني منذ زمن بعيد، كنتُ أفكر أن أموت في الغرفة الداخلية من بيت نيشيكاتا. أكره جدًّا أن أموت في الطريق أو في السهول وأن تعبث بجثتي أيادي المارة الذين يتجمعون حول الجثة بفضول. ولكن بيتنا في نيشيكاتا ذهب إلى يد غرباء، وكنتُ أعتقد حتى الآن أنه ما مكان أفضل من هذا البيت الجبلي للموت، وهكذا عندما أفكر في مدى الدهشة والرعب اللذين سيصيبانك يا أختي العزيزة، لو كانتْ أختي العزيزة أول من يكتشف انتحاري، لكان أمر انتحاري في منتصف الليل وأنا وأنتِ وحيدين ثقيلًا ولم يكن ثمة أمل في قدرتي عليه.

وهكذا يا لها من فرصة سانحة! أختي العزيزة غائبة، وبديلًا عن ذلك، أول من سيكتشف انتحاري راقصة في منتهى الغباء وبلادة الحس.

في الليلة الماضية تناولنا أنا وهي الخمر، وجعلتها تنام في الغرفة ذات الطراز الغربي بالطابق الأعلى، وفرشتُ أنا فراش النوم في الغرفة السفلى التي ماتت فيها أُمُّنا، وبدأت في كتابة هذا الخطاب البائس.

أختي العزيزة،

إنني لا أملك رصيدًا من الأمل. الوداع.

في النهاية، موتي مجرد موت طبيعي. لأن الإنسان لا يمكنه الموت من خلال الأفكار فقط.

بعد ذلك ثمة أمر أخير، إنه رجاء أنا في منتهى الحياء

من طلبه. الكيمونو التيل الذي تركته أُمُّنا، لقد أصلحته قائلة من أجل أن يرتديه ناوجي في الصيف القادم، أليس كذلك؟ أرجو منك أن تضعي ذلك الكيمونو في تابوتي. لقد كنتُ أريد أن أرتديه.

لقد طلع النهار. ولقد أتعبتك معي يا أختي لفترة طويلة.

الوداع.

لقد فُقتُ تمامًا من سُكْر خمر ليلة أمس. وسأموت بدون أي أثر للسُّكْر.

مرة أخرى الوداع.

أختي العزيزة،

إنني من النبلاء.

الفصل الثامن

حلم.

يرحل الجميع بعيدًا عني.

قضيت بمفردي شهرًا كاملًا في الشتاء بالبيت الجبلي من أجل ترتيب الأمور بعد موت ناوجي.

وهكذا كتبتُ رسالة على الأرجح هي الأخيرة بمشاعر عديمة الفائدة وأرسلتها إلى ذلك الشخص.

على ما يبدو أنك أنت أيضًا تخليتَ عني. كلا، بل على الأرجح أنك بدأت تنساني تدريجيًا.

ولكنني أشعر بالسعادة. فيبدو أنني حملت في طفل كما كنتُ أرغب. إنني أشعر حاليًا أنني فقدتُ كل شيء، ولكن الطفل الصغير في بطني، هو بذرة لابتسامة وحدة.

ولكنني لا أعتقد أبدًا مهما فكرت أن ذلك كان فشلًا أو خطأ. لقد فهمتُ في هذه الأثناء سبب وجود الحرب ووجود السلام ووجود التجارة ووجود النقابات ووجود السياسة في هذه الحياة. أنت لا تعرف بالتأكد. ولذلك فأنت دائمًا تعيس. ولسوف أعلِّمُك هذا الأمر، السبب هو من أجل أن تلد المرأة طفلًا صالحًا.

إنني منذ البداية لم أكن أعتمد كثيرًا على صفاتك الشخصية وتحملك المسؤولية. لقد كانت مشكلتي فقط في إنجاز مغامرة

حب واحدة مستقيمة. ثم اكتملت فكرتي، والآن بالفعل داخل قلبي، هدوء وسكون تامَّان مثل بِركة وسط غابة.

أعتقد أنني انتصرت.

حتى وإن وَلَدَتْ مريم طفلًا ليس ابن زوجها، إن كان لمريم كبرياء متألق، فستكون هي الأم المقدسة ويكون هو الطفل المقدس.

لقد تجاهلت الأخلاقيات البالية غير عابئة بها، وأشعر بالرضا لحصولي على طفل جديد بي.

أتوقع أنك بعد ذلك أنك ظللت تقول جيلوتين، جيلوتين، وتشرب الخمر مع السيدات والسادة الأفاضل، مستمرًّا في حياة الانحطاط. ولكنني لن أقول لك كُفَّ عن ذلك. فذلك هو الصراع الشكلي الأخير بالنسبة لك.

وكذلك لأنني لا أريد أن أعطيك الإرشادات الروتينية القميئة مثل: اترك الخمر، وعالج أمراضك، وعش طويلًا واعمل عملًا عظيمًا... إلخ. ربما كانت الاستماتة والتضحية بالنفس في سبيل حياةٍ ما -يُقال عنها حياة غير أخلاقية- ربما كانت على العكس سببًا في توجيه الشكر والامتنان لك من الأجيال القادمة أكثر من أن تقوم «بعمل عظيم».

ضحية. ضحية فترة تغيرات أخلاقية. ربما تكون أنت أيضًا وأنا كذلك ضحيتين بالتأكيد.

الثورة، تُرى أين تشتعل تلك الثورة؟ على الأقل، حولنا نحن، الأخلاقيات البالية موجودة كما هي، ليس بها ذرة تغيير، تمنعنا من التحرك للأمام. حتى لو صخبت الأمواج التي فوق سطح البحر بشكل ما، فماء البحر في الأعماق، ليس فقط لا يثور بل إنه لا يحرك ساكنًا ويرقد متظاهرًا بأنه يغط في نوم عميق مثل حيوان الغرير.

ولكنني في الجولة الأولى حتى الآن، أعتقد أنني استطعت أن أدفع وأفلت من الأخلاقيات البالية وإن كانت قليلة. وهكذا، هذه المرة، أنوي القتال مع الطفل الذي سيولد، الجولة الثانية، والجولة الثالثة.

سأُكمل ثورتي الأخلاقية من خلال إنجاب وتربية طفل الرجل الذي أشتاق إليه.

وحتى وإن نسيتني أنت، وكذلك حتى وإن فقدتَ حياتك بسبب الخمر، فإنني يبدو أنني سأعيش بصحة جيدة من أجل إكمال ثورتي.

لقد سمعتُ من أحدهم منذ مدة العديد عن سفاهة شخصيتك، ولكنك أنت من أعطاني تلك القوة للحياة. أنت من سلط قوس قزح الثورة في صدري. أنت من أعطاني هدفًا لكي أحيا.

فأنا أفخر بك، وأريد أن أجعل الطفل الذي سيولد يفخر بك كذلك.

طفل غير شرعي وأمه.

لكننا ننوي أن نعيش مثل الشمس ونحن نقاتل الأخلاقيات البالية.

ولذا أرجو منك بشكل ما أن تستمر في القتال في معركتك.

إن الثورة لم تبدأ ولو بأدنى شيء منها، مطلقًا. فعلى الأرجح أن من الضروري وجود ضحايا متعددين ومتنوعين، ضحايا كثر لا يُعوضون.

إن الضحايا هم أجمل ما في هذا المجتمع الحالي.

ثمة ضحية صغيرة أخرى.

يا سيد أويهارا،

ليس لديَّ أي نية في طلب شيء منك بعد الآن، ولكن من أجل تلك الضحية الصغيرة، ثمة شيء واحد فقط أرجوك أن تسمح لي به.

وهو أن تجعل السيدة زوجتك تحضن طفلي الذي سيولد ولو لمرة واحدة فقط بلا زيادة عليها. ووقتها أريدك أن تسمح لي أن أقول: «إن هذا الطفل هو ابن ناوجي من إحدى النساء أنجبه منها في السر».

لماذا أفعل ذلك؟ إن ذلك هو الأمر الوحيد الذي لا أستطيع إخبار أحد به. كلا، بل إنني حتى أنا نفسي لا أفهم لماذا أريدك أن تسمح لي بذلك الفعل. ثمة ضرورة ملحة تجعلني أفعل ذلك بأي شكل. يجب أن تسمح لي بأي شكل أن أفعل ذلك من أجل ناوجي ذلك الضحية الصغيرة.

هل أنت مستاء من ذلك؟ إن كنت مستاءً، فأنا أطلب منك الصبر والتحمل. أرجو منك سماع الرغبة والمضايقة الوحيدة الطفيفة من امرأة على وشك أن تُنسى ويُلقى بها في سلة النفايات.

إلى (M.C) «كوميدياني».

(اليوم السابع من الشهر الثاني من العام الثاني والعشرين من عصر شووا [7 فبراير 1947])

تدور أحداث هذه الرواية في إطار أسري لعائلة من عائلات النبلاء في اليابان حيث تعيش إحدى الفتيات مع أمها المريضة؛ إحدى نبيلات اليابان، بعد أن كان قد توفي أبوها منذ زمن. وتعاني تلك الفتاة من الشعور بأن أمها لا توليها الحب نفسه الذي توليه لأخيها المغترب الذي يعيش بعيدًا عنهم، ومن ثم تتجدد لديها الرغبة الدائمة في الهرب بعيدًا عن أمها. لكن مرض أمها وصراعها على فراش الموت يؤخر هذه الخطوة ولا يلغيها، ويتزامن ذلك مع عودة الابن للاستقرار في بيت العائلة، بعد أن كثرت عليه الديون بسبب معاقرته للخمر ليل نهار، ثم انتحاره بعد وفاة أمه وتركه وصيته لأخته التي كانت قد رتبت لهروبها للبحث عن رجل يكون سببًا في إسعادها.

ولد أوسامو دازاي، واسمه الحقيقي «شوجي تسوشيما»، في 19 يونية 1909 لعائلة غنية من كبار الملاك في محافظة أواموري شمال شرق اليابان. وفي السادسة عشرة من عمره وبسبب تعلقه بأدب ريونوسكيه أكوتاغاوا كتب أول أعماله الأدبية بعنوان «آخر وصي للعرش» ونشر هذا العمل في مجلة مدرسته، لكن انتحار أكوتاغاوا تسبب له في صدمة عنيفة أثرت على دراسته إلى أن وصل الأمر إلى طرده فيما بعد من جامعة طوكيو الإمبراطورية بعد تكرر رسوبه.

كان مغرمًا بالانتحار الثنائي مع النساء، وحاول ذلك عدة مرات فشلت جميعها إلى أن نجحت المحاولة الأخيرة مع رفيقته يامازاكي، بإلقاء نفسيهما في مجرى قناة تاماغاوا غرب طوكيو في يونية من عام 1948. وعمره آنذاك 39 عامًا.

وأغلب أعماله إما مستوحاة من حياته الشخصية ويوميات أصدقائه ومعارفه أو تعتمد على التراث القديم.



